المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة التعليم عن بعد
كلية الشريعة ـ الانتساب المطور

imam8.com
مكتبة منتسبي الشريعة

(ثقف ٣٠١)

مقرر مقومات الفكر الإسلامي

المستوى السادس

أستاذ المقرر :
د / أحمد الحسيني

(المذكرات تم تفريغها سماعاً من المحاضرات الصوتية)

إعداد طلاب وطالبات كلية الشريعة

انتساب مطور

(نسخة مدققة ومزيدة)

١٤٣٣هـ

(كتب الله أجر كل من عمل على إعدادها وجعلها له صدقة جارية)

﴿تـقـديـم﴾

هذه هي الطبعة النهائية لمذكرات كلية الشريعة انتساب مطور تعليم عن بعد
وقد اعتمدت بتوفيق من الله بعد أن تم تدقيقها أكثر من مرة
من قبل طلاب وطالبات كلية الشريعة انتساب مطور

ولأنها جهد بشري لا يخلو من الخطأ ولا يصل للكمال
فنرجو عند وجود خطأ أو ملاحظة
كتابة تنبيه في الموضوع المخصص لذلك في منتدى المستوى الخاص بالمذكرة
في منتدى مكتبة كلية الشريعة: www.imam8.com

وسوف يتم تصحيح الأخطاء بعد التنبيه عليها من قبل القائمين على إعداد المذكرات

ونسأل الله جزيل الثواب لكل من يعين على ذلك ويشاركنا فيه

(مجموعة إعداد مذكرات كلية الشريعة انتساب مطور)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحلقة (١)

هذه هي الحلقة الأولى من مقرر مقومات الفكر الإسلامي وخصائصه لطلاب وطالبات الانتساب المطور، أو التعليم عن بعد للمستوى السادس بكلية الشريعة ، سائلين الله التوفيق والسداد أما بعد :

موضوع الحلقة الأولى: **مفهوم الفكر الإسلامي من حيث التعريف اللغوي والاصطلاحي** .

أهداف تدريس هذا المقرر:

قبل أن ندخل في مسألة التعاريف سنتحدث عن أهداف تدريس هذا المقرر :

المقرر يتكون من عدة نقاط في المفهوم ،وفي المقومات التي هي الخصائص، والأصول ، والمصادر ،وفي الضوابط ،والتجديد ، يعني أنه يتكون من عدة نقاط ، **فما هي أهداف تدريس المقرر؟**

الهدف الأول: تعريف الطالب والطالبة بحقيقة الفكر الإسلامي بجميع محتوياته ،والذي تسعى الجامعة لترسيخه في نفوس أبنائها .

الهدف الثاني : إكساب الطالب والطالبة مهارة التفكير ، والاستدلال المنهجي ، وتوظيفها في خدمة الفكر الاستدلالي.

الهدف الثالث : تنمية شعور الطالب والطالبة بأصالة الفكر الإسلامي ، وتفاعله مع الوقائع والمستجدات ، وكما نعلم هناك وقائع كثيرة تهم المسلم والمسلمة في حياته ، فلابد أن تؤصَّل تلك الأفكار وتفعَّل مع هذه الوقائع ، وأن يكون المنطق فيها منطقا شرعياً وفق الضوابط التي جاءت بها الشريعة الإسلامية.

هذه هي الأهداف التي من أجلها قررت الجامعة تدريسه في كلية الشريعة وهي الكلية الأم ،والكلية الرائدة في هذا المجال.

إذاً أول موضوعاتنا في الحلقة الأولى هو **مفهوم الفكر الإسلامي من حيث التعريف اللغوي والاصطلاحي**.

أولا : الفكر لغة واصطلاحا ، ثم الإسلام لغة واصطلاحا ، ثم تعريف الفكر الإسلامي مركبا وبجملة واحدة.

المفهوم دائما هو في الاصطلاحات اللغوية والشرعية .

فالفكر **لغة** اختلفت تعريفاته لأن المسألة ليست محسومة من خلال الوحي ، وإنما هي خاضعة لاجتهاد البشر فيما يرون وينظرون وهذا مجال متاح ،والفكر له دور فيه.

تعددت الآراء في تعريف الفكر، ولكنها كلها تدور في معنى واحد ، **فمن ضمن تعريفاته المختارة** :

- ما قاله **ابن منظور** في كتابه العظيم " **لسان العرب** " **يقول** :"**الفكر هو إعمال الخاطر في الشيء** ".
- ويقول **ابن فارس** في "**معجم مقاييس اللغة** ":"**الفكر هو تردد القلب في الشيء** "-القلب والخاطر شيء واحد-.
- ويقول **الراغب الأصفهاني** في كتابه" المفردات "**الفكر قوةٌ مُطْرِقةٌ للعلم بالمعلوم** ".

لو أردنا أن نُعرف هذه الفقرات التي وردت في تعريف الراغب أو ما يسمى ب**شرح التعريف** وهي من عادة الأصوليين في تعريفهم للمصطلحات .

"**الفكر قوة مطرقة للعلم بالمعلوم**"

قوة : " أي ملكة".

مطرقة: " موصلة للمراد ، كالطريق يوصل للمراد"

للعلم بالمعلوم: "أي المعرفة بالشيء الذي يراد بيانه ، أو الكشف عنه ".

المعلوم: يكون عند بعض الناس ، ولكن عند البعض الآخر ربما يكون مجهولا ، ولذلك عندما نقول العلم بالمعلوم لأنه معلوم عند آخرين ، فلا بد من العلم به ، ولو قلنا العلم بالمجهول لصحت العبارة ، فهو مجهول بالنسبة لمن يريد أن يعْلمه ، وللراغب تعريفات كثيرة ؛لأن كتابه في المفردات "

ويقول أيضا " **الفكر جَوَلان تلك القوه بحسب نظر العقل ، وهو للإنسان دون الحيوان** "

ثم يقول : والفرق بينهما : **أن الفكر هو العقل بالقوة ، أما التفكير فهو العقل بالفعل .**

الإنسان إذ خَلق الله له عقلا فهذا بقوة ليس له اختيار فيه ، أما التفكير هوتحريك العقل ،فهو بفعل الإنسان واختياره.

التعريفات كثيرة لو اخترنا منها واحد عند التعريف لكفى ،ولكن معرفتها مهمة في هذه المجال لتكون مدخلاً مهماً ويمكن أن ننسج تعريف من هذه التعريفات المجتمعة ،ولعلها يكون أجملها ، عندما ندخل العقل في الموضوع ؛لأن **الفكر والعقل شيء واحد لا ينفصلان.**

فنقول :"*الفكر هو* حركة العقل في الشيء "

إذا هذه تعريفات متعددة لابن منظور ،وابن فارس ،والراغب الأصفهاني يمكن أن نختار منها تعريفاً واحدا ، فهذه التعريفات ليست وحياً بل إنها مقرِبةٌ للمراد.

هذا هو التعريف اللغوي الذي نحبذه وإن كانت البقية لها وجاهتها .

بعد التعريف اللغوي يأتي التعريف الاصطلاحي ،لأن الاصطلاح قد يخالف اللغة بوجه ،ويوافقها من وجه أخر ولكن لابد أن يكون له أصلا لغويا إذا كانت المفردة عربية ، أما إذا لم تكن عربية فالاصطلاح العربي ربما يختلف عن الاصطلاح الأجنبي.

يطلق الفكر على معنيين في الاصطلاح :

المعنى الأول : **الفعل الذي يقوم به العقل عند حركته في المعقولات ،كالنظر والتأمل**- ينظر في الأشياء ويتأمل فيها ويمعن النظر –.

المعنى الثاني : **المعقولات نفسها وهي الموضوعات التي أنتجها العقل البشري .**

(شرح) إذاً معنيان يترتب أحدهما على الأخر **الأول**: هو الفعل الذي يقوم به العقل ، **والثاني**:نتيجة هذا الفعل(المعقول نفسه). إذاً عندما نقول المعنى الاصطلاحي نتحدث عن الحركة وعن النتيجة :حركة العقل ،وهو هذا المعنى . الفعل الذي يقوم به العقل عند حركته في المعقولات بالنظر والتأمل. المعنى الثاني : النتيجة وهي المعقولات –الموضوعات–التي يُنتجها العقل البشري .

لو أردنا أن نفرق : نأتي بمثال يبين المعنيين "معنى حركة العقل ونتيجة هذه الحركة" الاستنباط أو القياس وهو عمل للفكر عندما يقيس الفقيه أو المفكر ، فهو عمل للفكر، وهو حركه للعقل لإدراك الشيء ويراد به المعنى الأول .

الثاني : المعقولات بناء على القاعدة الأصولية أو قاعدة المصطلحات "أفكار" ، **وهي نتاج حركة العقل**

يعني عندما نحرك العقل تنتج عندنا أفكار ، فالأول الفعل الذي يقوم به العقل هو حركة العقل ،عندما نعمل في القياس ونبدأ نحرك العقل في هذه المسألة ، والنتيجة التي نصل إليها هي الأفكار ، وهي نتيجة حركة العقل ،وتسمى فكراً . واحد الفكر يسمى **فكرة** ، والمراد بها **هي موضوع التفكير** ، وهي داخله في المعنى الأول في قضية حركة العقل.

هذا هو التعريف اللغوي والاصطلاحي لمصطلح الفكر . وحديثنا نحن في الفكر الإسلامي.

الشق الثاني : من هذا المصطلح "الإسلامي" **وهو نسبة إلى الإسلام.**

ومن حيث **الوضع اللغوي للإسلام** ، أسلم عند العرب بمعنى " **انقاد وأستسلم** "

فعندما يُقاد البعير يقال : اسلَم قيادَه ، **أي انقاد.**

هذا الوضع اللغوي عند العرب ، وحتى لو لم يعرفوا الإسلام الذي نعرفه .عند ظهور الإسلام كانوا يقولون اسلَم أي أنقاد لما جاء الإسلام العظيم **وظَّف هذه الكلمة توظيفا اصطلاحيا شرعيا فجعله بمعنى الانقياد لله .**

إذاً **الإسلام لغة : هو الانقياد .**

في الاصطلاح : له معاني متعددة كلها تدور على معنى **الاستسلام .**

- ✓ وهو " **الاستسلام لله تعالى ،والخضوع له بالطاعة ،والخلوص من المعصية** " وهو أشهرها.
- ✓ أو "**إظهار الخضوع والقبول لما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم**".
- ✓ أو "**هو عباده الله وحده وطاعة أوامره ، وترك نواهيه ، والوقوف عند حدوده ، والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم مما كان ويكون فهو طاعة وانقياد وتصديق** "

هذا هو التعريف **اللغوي والاصطلاحي ومما يخدم الموضوع في المجال الفكري في مسألة الإسلام ما يقوله :**

- **الراغب الأصفهاني** ،وقد توسع بهذا الجانب فقال : "**الإسلام جاء في القرآن على ضربين أو طريقتين أو معنيين أحدهما : دون الإيمان وهو الاعتراف باللسان وبه يُحقن الدم سواء حصل معه اعتقاد ، أو لم يحصل**" -إن حصل معه اعتقاد فهو مسلم حقيقي ، وإن لم يحصل اعتقاد فهو منافق ولكن يبقى مسلما ؛لأن القلوب لله تعالى- كما قال تعالى {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا}الحجرات١٤، فهنا الإسلام دون الإيمان.

الإطلاق الثاني: فوق الإيمان: وهو الاعتراف والاعتقاد والوفاء بالفعل والاستسلام لله فيما قضى وقدر.

إذاً هو أعلى من الإيمان وهو الاعتراف والاعتقاد والوفاء بالفعل والاستسلام لله فيما قضى وقدر.

حيث يقول الله تعالى في حق إبراهيم الخليل عليه السلام:{إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ }البقرة١٣١

هناك معنى ثالث : ورد في السنة النبوية :حيث جعل الإسلام **مساوٍ للإيمان** ، أي يشمل أعمال الظاهر والباطن وقد ذكر **شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله** في ذلك حديث وفد عبد القيس حيث قال لهم : النبي صلى الله عليه وسلم (آمركم بالإيمان ، ثم قال أتدرون ما لإيمان ؟ شهادة أن لا إله إلا الله ،و إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا خُمس ما غنمتم) فهنا جعل شهادة أن لا إله إلا الله -وهذا هو الإيمان- ،و إقام الصلاة وإيتاء الزكاة جعلها هي الإسلام وأتى بها بمعنى واحد ، ومعروف أن أركان الإسلام هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، و إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ،وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا . هذه هي أركان الإسلام ، فجعلها هي الإيمان كما جاء في حديث وفد عبد القيس.

إذا هذه ثلاثة معاني (**دون الإيمان ، وفوق الإيمان ، ومساوٍ للإيمان**)

نصل إلى **تعريف الفكر الإسلامي** مجتمعاً "**هو الصنعة العقلية وفق منهج الإسلام** " ومنهج الإسلام هو: النقل.

إذا أردنا نحلل التعريف :

الصنعة العقلية :**اجتهادات العلماء في سائر العلوم ،ويخرج منها السلوك ؛ لأنه ليس بفكر.**

وفق أي ملتزم ، منهج الإسلام : بإصوله وقواعده العامة ،أو حسب ضوابط الإسلام.

ومراجع هذه القضية (التعاريف) : هي الكتب اللغوية ، وكتب **المفردات للراغب الأصفهاني** ، **والتعريفات للجرجاني** ، و يغنينا عنها **كتاب الدكتور عبد الرحمن بن زيد الزنيدي** "حقيقة الفكر الإسلامي " ففيه مثل هذه التعاريف.

الحلقة (٢)

في الحلقة الأولى انتهينا من موضوع مفهوم الفكر الإسلامي " التعريفات ".

وفي هذه الحلقة سيكون الحديث عن **أهميه الفكر الإسلامي** .

الفكر الإسلامي ينطلق من منطلقين : **الفكر و الإسلام** .

سنتحدث أيضا عن أهميه **الإسلام** ،وأظن أن المسألة ليست بتلك الحاجة ؛ لأن الإسلام هو ديننا العظيم الذي نعرف أهميته ،ولكن ربما نحن بحاجة لمعرفة **الفكر**، ولاسيما الفكر الإسلامي وهذا يُغنينا عن الحديث عن الإسلام بصفته ديناً فذلك مفروغ منه.

- أولا : **أهمية الفكر في الحياة الإنسانية** ، - أي فكر - بغض نظر عن كونه إسلاميا أو غيره - في كل حياة -بغض النظر عن كون صاحب هذا الفكر مفكراً ، أو مستفيداً ، سواء كان مسلم ،أو غير مسلم- لنصل بعد ذلك إلى الفكر الإسلامي ، والمستفيد وهو المسلم.

إذا النقطة الأولى: **أهمية الفكر في الحياة الإنسانية ، أي فكر ! ، وأي إنسان !.**

تنقسم أهمية الفكر إلى قسمين: بالنسبة للفرد ، وبالنسبة للأمم على وجه العموم .

بالنسبة للفرد : **أهميه الفكر بالنسبة للفرد تنبع من أن الفكر هو مرتكز حياة الإنسان ؛ سواء كان في شئونه المادية أو المعنوية ومنها الروحانية .**

ما الأسباب في ذلك ؟ **عدة أسباب** :

أولها : **أن الفكر خاصية للإنسان حيث يتميز به عن سائر المخلوقات الأرضية التي نتعامل معها** -والجن عندهم فكر والدليل أنهم مخاطبون بالتكليف ولكن ليس لنا تعامل معهم - ، ونحن نقصد من نتعامل معهم في المحيط الذي نعيش فيه " **الإنسان، والحيوان ، والنبات والجماد**"

الثلاثة الأخيرة ليس لها خاصية الفكر! وإنما هذه الخاصية للإنسان تميز بها عن سائر المخلوقات التي يتعايش معها و به تتهيأ السيادة عليها -على سائر المخلوقات- ، **فهذا الكون مسخر للإنسان** ، من حيوان ، ونبات ، وجماد .

يقول تبارك وتعالى{وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }الجاثية١٣ ، ولو أخذنا أمثله من القرآن ، يقول تبارك وتعالى {وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }النحل٨ ،والآيات في هذا الشأن كثيرة.

إذا السبب الأول : **الذي يجعل الفكر مهماً بالنسبة للفرد أنه خاص بالإنسان .**

الثاني : **أن به التفاضل** ، بهذا الفكر يتفاضل الناس فيما بينهم ، فهذا فكره عالي، وذاك فكره منحط ، هذا فكره ديني وذاك فكره مادي ، ففيه التفاضل ويدخل في مجال التقوى قال تعالى:{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }الحجرات١٣

السبب الثالث : في أهمية الفكر بالنسبة للفرد ، **أن به يسمو الإنسان على قيود المادة، وأسر الشهوة** ، فإذا تعطل العقل

تساوى مع البهائم .

البهائم -الحيوانات - **تتصرف بغريزة ولا تستحي من أحد في كل شئونها** ، بينما الإنسان -حتى الكافر فحديثنا لآن عام- يتميز بأنه في الغالب -بغض النظر عن وضع الحياة المعاصرة التي شذت عن الطريق المستقيم على مدى تاريخ البشرية- **فإنه يتميز بهذا السمو في قضية التعامل الأخلاقي** ، وفي قضية عدم استعباده بأسر الشهوة وبالتالي افترق عن هذا الحيوان .

السبب الرابع: الذي يؤكد أهمية الفكر **أن به يُميز بين الحق والباطل ، وبين أعلى المصلحتين وأقل المفسدتين** .

الحق والباطل هنا لا نقصد به المعنى الخاص بنا - وهو الإسلام والكفر- وإنما يدخل فيه المسلم ضمنياً ، ولكن عندما نتحدث عن غير المسلم لا شك أن هناك حق وباطل بغض النظر عن الدين ، فالأخلاق حق وانعدام الأخلاق باطل ، معاونة الضعفاء حق وكسر قلوبهم باطل. إذاً به يميَّز بين الحق والباطل وإلا لاختلطت الأمور اختلاطاً كلياً ، أما المسلم فالحق واضح ، أعلاه الإسلام .

إذاً هذه قضية أهمية الفكر بالنسبة للفرد وهي أربع :

أولاً - أنه خاصة بالإنسان.

ثانياً - أنه به يتفاضل الناس .

ثالثاً- أن به يسمو الإنسان على غيره من المخلوقات الأرضية .

رابعاً- يميز به بين الحق والباطل.

ولذلك إذا **عُدِم العقل كالمجنون** ،أو **الذي أذهب عقله بمؤثر كالمسكرات** مثلاً ،أو المخدرات ؛ **فإنه بهذه الحالة يفقد هذه الخاصية وهي قضية الفكر.**

أما أهمية الفكر بالنسبة للأمة : **فالفكر هي قاعدة الحاضرة ،لأي أمة من الأمم ، فأي أمه بدون فكر ،أو فكر منحط فإنها لن يكون لها حضارة .**

الحضارة لا تبنى إلا على فكر!! .

فما أرتقت أمة، ولا صار لها شأن إلا لعنايتها بالجوانب العلمية والفكرية ، وهذا مُشاهد! فانظروا حال العرب في جاهليتهم لما كانت الأفكار عندهم ضعيفة إلى حدٍ كبير ، لم يستطيعوا بناء حضارة كالأمم الأخرى ،ولما جاء الإسلام أعطاهم خاصية الفكر والتعلم ، بل وجعله واجباً فصاروا أمة حضارية قادت البشرية ردحاً من الزمن ، ولما تخلوا عن المنهج ،رأينا أنهم فقدوا هذه الخاصية العظيمة ؛ وهي قضية الاعتداد بالعلم والفكر وهم إن شاء الله في طريقهم عائدون بإذن الله تعالى.

لكن حديثنا عام حتى الحضارات البشرية الأخرى، **لم تنهض إلا بفكر** ، سواء الرومانية ،أو الفارسية، أو اليونانية، أو الصينية ، لاسيما الحضارة اليونانية التي تبنى على الفكر ، وفي العصر الحديث الذي نعيش فيه أصبح الصراع صراعاً فكريا بالدرجة الأولى ! أكثر منه عسكريا و إن وجد . والذي نجح فيه الغرب من الناحية المادية، لا من الناحية الروحانية ؛ولذلك ساد العالم الآن ! نظراً لأنه أهتم بهذا الجانب وإن كان فقد كثيراً في حضارته نظراً لتخليه عن الجانب الروحاني وسيفقد الأهم وهو الدار الآخرة ونسأل الله أن يهديهم إلى الحق .

ولذلك لا تنهض أمة إلا بهذه القاعدة وهي قاعدة الفكر ، عند ذلك يكون لها حضارة ، وبالتالي إذا الفرد أصبح مفكراً وتعلَّم الأفراد انعكس هذا على الأمة التي يعيش فيها الفرد ،مما جعلها أمه تبني حضارة وهذا ما يتعلق بأهمية الفكر بالنسبة للفرد والأمم، أو كما عبرنا عنه : أهمية الفكر في الحياة الإنسانية .

نأتي إلى موضوع خاص وهو **أهمية الفكر والتفكير في الإسلام** ، الحديث السابق كان عاماً ، يدخل فيه المسلمون وغيرهم.

- **النقطة الثانية** : وهي **أهمية التفكير في الإسلام** .

التفكير يبنى على العلم ولا شك ، ومن هنا يأتي أهميته ، فمن الدلائل على أهمية التفكير في الإسلام **عدة أسباب** :

أولها : أن الفكر، والتفكير وسيلة للارتقاء إلى عالم الغيب ،والإيمان به ، والإيمان بالوحي الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ممثلاً في القرآن الكريم والسنة النبوية .

يقول تعالى:{الٓمٓ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)}البقرة ، والآيات كثيرة في هذا المعنى يصعب حصرها ، ولكن يمكن أن نعطي قاعدة في هذا الجانب ،وهي أن النصوص الشرعية وافرة في هذا المجال،ولكنها وردت بطريقين :

١- .**إما حضّاً على التفكير والتدبر** ،مثل قوله تعالى:{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ}فصلت٥٣ ، وقوله تعالى:{كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ }ص٢٩، هذا حض على التفكير .

٢- **أو تقديم للعلم على العمل** ، الفكر يقدم العلم على العمل ، يقول تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ }محمد١٩ ،فبدأ بالعلم ، اعلم العقيدة {لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ} ثم العمل {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ} .

٣-**أن الفكر يرفع مقام العلماء** ، يقول تعالى:{يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}المجادلة١١، **يقول ابن عبد البر "أجمع العلماء على أن المقلد ليس معدوداً في العلماء" إذا كان يقلد في كل شي ، أما إذا كان يقلد في شيء ويجتهد في شيء آخر فهذا مجتهد** ، ليس مطلق ، فالمجتهد المطلق هو من له رأي في كل مسألة بناء على نظره في النصوص .

السبب الثاني: هو أن الفكر وسيلة النجاح كما قال تعالى :{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ }الأنفال٢٢) وقوله سبحانه :{وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ }الملك١٠

السبب الثالث: أن حفظ العقل من مقاصد الشريعة ، مقاصد الشريعة كما نعلم خمسه **هي : أ-حفظ الدين ،ب-وحفظ النفس ،ج-وحفظ النسل أو العرض ، د-وحفظ العقل، هـ - وحفظ المال .**

وهذا أحدها وهو حفظ العقل ، **ولذلك حرم الإسلام كل ما يؤثر على هذا العقل كالمسكرات، والمخدرات، والسحر والكهانة، والشعوذة** وما إلى ذلك ، **فلما كان الدين موجه للإنسان العاقل** فبه التكليف ، وإذا رُفع العقل رُفع التكليف ، ولذلك أُثر عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعوا **أن لا يرد إلى أرذل العمر.. لماذا ؟** لأن من لازم ذلك ضعف العقل أو زواله ، فكل ما كبر الإنسان ضعفت خلايا عقله ، وليس حتماً ولكن في الغالب أو ربما زال نهائياً ، حتى وصل إلى حد الخرف .

إذاً هذه أدله على أهمية التفكير في الإسلام .

ثلاثة أشياء :

أولها : أنها وسيلة للارتقاء لعالم الغيب والإيمان به والوحي.

الثاني : أن الفكر وسيلة النجاح في الدنيا والآخرة .

الثالث : أن حفظ العقل من مقاصد الشريعة الإسلامية.

هذا ما يتعلق في أهمية التفكير في الإسلام .

- **النقطة الثالثة : هي الصلة بين الفكر والمفكر، ما هي الصلة بين الفكر والمفكر؟**

هل هناك من صلة ؟ هذا ما سنعرفه في هذه الفقرة التالية :

لا شك أن الفكر هو ثمرة وجهد من جهود العقل ، والمفكر هو ذاك العاقل الذي يصدر عنه الفكر وتصدر عنه الأفكار ، وبين المفكر والفكر ارتباط وتلازم ، **فهذا التلازم يأتي من عدة نقاط** :

أولها : **هل يمكن الحكم على الفكرة بصرف النظر عن قائلها ؟** فمثلا هل يمكن أن يقال عن هذه الفكرة صحيحة ولو كان قائلها كافراً ؟

الجواب :نعم ، **لأن ليس هناك تلازم بين الفكرة وقائلها** ،ولذلك شواهد كما في قوله صلى الله عليه وسلم في حلف الفضول :(لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم-يعني الإبل- ، ولو دعيت به في الإسلام ،لأجبت) وهو حديث صحيح .

يقول شيخ الإسلام **ابن تيميه في الفتوى الحموية :"الحق يقبل من كل من تكلم به " وقد جاء عن معاذ " اقبلوا الحق عن كل من جاء به ولو كان كافرا ،أو قال فاجراً "**

وقصة **أبي هريرة رضي الله** عنه مع الشيطان لما علَّمه آية الكرسي قال صلى الله عليه وسلم :(صدقك وهو كذوب)

والأمثلة في هذا كثيرة، ولذلك ذكر **أبن القيم** في "**إعلام الموقعين** "قاعدة هي " **اعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال**"

لو صدر عن إنسان مقالة كفرية ، هل يحكم بكفره لو كان مسلما ؟

يقال: أن ما صدر عنه كفراً ،ولكن هو لا يُكفر حتى ينظر في أمره ، يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** يرحمه الله: "ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر ، حتى يثبت في حقه شروط الكفر ، وتنتفي موانعه ، ثم مثَّل لذلك كمن قال: أن الخمر حلال لقرب عهده من الإسلام ، أو لأنه نشأ في بادية بعيده ، فأنه لا يحكم بكفره، ولا بد من إقامة الحجة عليه هذا ما يتعلق بالصلة بين الفكر والمفكر.

- النقطة الرابعة : هي **أهمية الفكر الإسلامي في حياة المسلمين**، وهذا هو الذي يعنينا أكثر من غيره.. لماذا؟

لأن الواقع المعاصر يشهد أن الصراع قائمٌ على أشده اليوم بين الأمم ، والذي تعتبر **الأمة الإسلامية فيه طرفاً مستهدفاً** ، وأهمية الفكر هنا هي آتيه من كون الصراع المذكور صراعا فكريا بالدرجة الأولى ، عقدياً وتشريعياً بل وتقنياً، ومن ثم لا بد من مقاومته لوجود الفكر الإسلامي الإيجابي ، الذي يحقق للمسلمين بناء مجتمعهم المتميز على الكتاب والسنة ، و اغْنائهم عن استجداء الثقافات الأخرى مما يفسد تميزهم، وتحصينهم من سهام الفكر الغازي لديارهم ، وعقولهم ،وإعطائهم المعيار الشرعي الذي يُعايرون به نتاج العالم الفكري ، في كل مجالاته حتى يتعامل المسلمون مع هذا النتاج على بصيرة من دينهم، أخذاً وردَّاً ، ومواجهة الفكر المخالف لشريعة الإسلام وإعلاء كلمة الله ، ودفع الباطل والدعوة إلى الحق. هذه هي أهمية الفكر أنه يقف حائل في وجه الصراع الدائر ليكون تعامل المسلمين مع غيرهم تعاملا مميزاً يعودون فيه إن شاء الله إلى سابق عهدهم

الحلقة (٣)

في الحلقة السابقة تحدثنا عن **أهميه الفكر الإسلامي** ، وموضوع هذه الحلقة :**مناهج التفكير في الفكر الإسلامي** .

المنهج لغة : **هو الطريق الواضح** ، ولذلك من مسميات بعض الشوارع في بعض البلاد العربية "نهج" ، ولكن نحن هنا لا نستخدم هذا المسمى ولكنه صحيح ، فالنهج هو الطريق ، وكذلك المنهج لغة هو الطريق الواضح .

وإذا كان الطريق غير واضح ؟ لا يسمى نهجا ، أو منهجاً ، فلا بد أن يكون واضحاً .

وفي الاصطلاح : يستعار التعريف اللغوي فيقال : **الطريق المؤدي إلى الغرض المقصود** .

وهنا **نلاحظ التوافق بين المعنى اللغوي والاصطلاحي** ، فالمعنى اللغوي يقول الطريق الواضح ،وقد لا يؤدي إلى مكان ولكنه طريق واضح -ربما أنه مغلق- ، لكنه في الاصطلاح :لا بد أن يؤدي إلى هدف مقصود لذاته .

مناهج التفكير لابد أن تكون علمية .. فما المقصود **بالعلمي؟**

فما هو التعريف العلمي ؟

العلمي لغة :نسبة إلى العلم.

وما هو العلم؟

هو إدراك الشيء على ما هو عليه .

لو كان الشيء يدرك على غير ما هو عليه، لصار جهلاً ، ولكن **إذا كان يدرك على ما هو عليه صار علماً** .

العلم في الاصطلاح : **فهو دراسة ذات موضوع محدد ، وطريقة ثابتة توصل إلى طائفة من المبادئ والقوانين** .

هذا هو العلم إذا ارتبط بالمنهج ، أما العلم بتعريفاته فله تعريفات متعدِدة بحسب المسار الذي يسير عليه فإذا كان المسار منهجي أصبح دراسة ذات موضوع محدد وطريقة ثابتة توصل إلى طائفة من المبادئ والقوانين .

الآن عرَّفنا المنهج وعرَّفنا العلمي فهذه هي مناهج التفكير ، **فماذا عن (المنهج العلمي) مركباً** بصفة ممزوجة -مركب مزجي- ، إذاً **المنهج العلمي**:

هو طريقة منظمة لعدة عمليات ذهنيه ،أو حسية بُغية الوصول إلى كشف حقيقة ،أو البرهَنة عليها .

ذهنية : كمسائل الأبحاث، **أو حسية** :كالأمور التقنية في مجال الطب والفيزياء والكيمياء وما إلى ذلك من معارف الطبيعة ، هذا هو التعريف المختصر للمنهج العلمي.

الفقرة الثانية : **أنواع المناهج** ، وقبل الحديث عنها بتفصيلاتها وهي كثيرة نأخذ ما يتعلق بها قبلاً وهي قضية أهمية **إتباع المناهج العلمية ،في التفكير أو البحث** .

ليس الحديث منصب على قضية الأبحاث وإنما على الأفكار - شيء ذهني وليس شيء حسابي أو مكتوباً أو محسوساً -.

إذاً تنبع **أهمية إتباع المنهج العلمي في التفكير** مما قلناه ، من **أن المناهج تراث إنساني ،تواطأ البشر عليه منذ أن قامت حضارتهم بين مقل ومستكثر فيما يؤخذ منه** ، بعض الحضارات عندها فكر وعندها مناهج ولكنها ضعيفة ، وبعضها عندها مناهج جيدة ، وساهمت في إثراء الفكر الإسلامي ردحاً من الزمن وربما إلى الآن تعمل في الحضارة المعاصرة **كالتراث اليوناني المبني على المنطق اليوناني الإغريقي ، ومن ضمنه المنطق الشهير المسمى الأرسطي ، ولكن عندنا أيضا مناهج إسلامية قررها علماء الشريعة في مجال أصول الفقه والقواعد الفقهية** ، لكن كما قلنا الحديث عام فالمناهج استفاد بعضها

من بعض، وليس بالضرورة أن يقتصر على منهج دون منهج ، فإن أُستُفيد منه كآلة فلا بأس ، **ولكن الكلام على المحتوى ، هل يمكن أن يستفاد من المحتوى اليوناني في مناهج التفكير عندهم ؟**

لا ، **بل إن الضلال ما حصل إلا بسبب دخول هذا المحتوى** ،ولكن كآلة فلا بأس!! ،وإن كانت المناهج الإسلامية التي قررتها العلوم المنطقية في الكتاب والسنة – ليس العلوم المنطقية بمفهومها الغربي وإنما المنطق بالمعنى اللغوي– فهذا هو سبيل الاستدلال الحقيقي وهذا هو المنهج ، لكن إن استُفيد من المنهج فلا بأس كما قلنا **والدليل أن علم أصول الفقه يبنى على مقدمة منطقية ربما أُستُفيد منها بشيء من الفكر الأرسطي في آلته وليس في محتواه .**

المحتوى كما قلنا مرفوض جملة وتفصيلاً ، فإتباع المنهج العلمي في البحث في الفكر أمر مفروغ منه ، ومهم بكل ما تحويه الكلمة من معنى، وإلا طاشت البحوث وما استطعنا أن نميز بين الدليل والمدلول.

- ✓ **فالمناهج إذاً تراث إنساني تواتر عند البشرية** ،ولكن كما قلنا الحضارات تختلف فيه كثرة وقلة ، وقد جاءت الشرائع بأصول في هذا الباب ، كل الشرائع السماوية والتي خُتمت بالإسلام ، ونقصد بالشرائع السابقة **إبَّان صحتها** أما بعد **تحريفها فلا تصلح دليلاً ،وشاهداً**، ولكن الشرائع أطبقت على أصول في هذا الباب ،كما أن العقول جاءت بإبداعات أخرى وهنا **دليل** أن الإسلام لا يعارض العقل ، وسنرى هذا إن شاء الله فيما يستقبل من حلقات قادمة.
- ✓ **المنهج العلمي** ، إتباعه ضروري ، و به جاءت الشرائع السماوية ،كما جاءت به العقول السليمة بإبداعات مميزة ، **وتبرز أهمية إتباع المنهج العلمي أنه من خلاله يتم البحث في صورة حيادية** ، إذا الأهمية تأتي من ماذا ؟ أن البحث(العقل) يتم بصورة حيادية موضوعيه قائمه على الأدلة والبراهين ، وثمرة ذلك التجرد من الشوائب التي تؤدي إلى الانحراف والخروج بنتائج غير موثوقة ، ومن هذه الشوائب **الهوى** ، **الهوى ليس من مفردات المنهج العلمي في التفكير فإذا دخل الهوى طُرد المنهج السليم** ، وقد حذر الله سبحانه أنبيائه الكرام عليهم السلام **من إتباع الهوى وهم معصومون** قوله تعالى :{يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ}ص (٢٦)، فغيرهم من غير المعصومين من باب أولى ، فأتباع المنهج والالتزام به يبعد الإنسان عن هذه الهُوَّة السيئة وهي إتباع الهوى ،وبالتالي تكون الأمور في مجال الفكر ، وفي مجال البحث قائمة على أصول حقيقة تعتمد الأدلة والبراهين ، فإتباع المنهج العلمي المتقدم لا يعني بالضرورة الوصول إلى الحقيقة .

يعني نحن الآن نستخدم الأسلوب العلمي في الأدلة والبراهين ولكن هل بالضرورة أن نصل إلى نتيجة ؟

لا ، الأصل أن نصل ، ولكن إن لم نصل فهذه قضية القصور العقلي ، فقد يكون هناك خلل حتى لو كان غير مقصود

- ✓ **إن إتباع المنهج العلمي المتقدم القائم على الأدلة والبراهين ،والمُبتعد عن الهوى لا يعني بالضرورة الوصول إلى الحقيقة النهائية ،وإنما غايته أن يؤدي إلى نتائج أكثر دقة وأقرب إلى الحق والصواب .**

يعني إذا لم نصل إلى نتيجة حقيقة ! فربما نصل إلى شيء منها طالما التزمنا بتلك المعايير ، أما إذا دخل الهوى فبالتأكيد ستكون النتيجة سلبية ، ومن هنا تأتي أهمية إتباع المنهج العلمي في الحياة البشرية سواء في مجال البحث أو الفكر وموضوعنا نحن في مجال الفكر.

- ✓ **إذاً المنهج العلمي ضروري أن يُتبع ،لأن الشرائع جاءت به ، ولأن العقول السليمة أبدعت من خلاله** ،حيث تتم قضية البحث بصورة حيادية، وموضوعية، قائمة على الأدلة والبراهين ، لتصبح النتيجة متجردة من الشوائب التي تؤدي إلى الانحراف والخروج بالنتائج غير الموثوقة ،وقلنا من أعظم هذه الشوائب هو قضية الهوى .

لكن نؤكد على أنه ليس بالضرورة أن يصل من أتبع المنهج العلمي إلى الحقيقة كاملة ! فقد يصل ،أو لا يصل ولكن عدم وصوله ليس نقص في المنهج العلمي ؛ وإنما نقص في وسائل استخدام هذا المنهج العلمي ، فربما وصل إلى نتيجة وربما وصل إلى شيء منها ، وعلى الأقل هذا كافي ما دام أن النية متجردة ، وفي المسلم تكون النتيجة أعظم وأعظم لأن عنده مناهج سنرى إن شاء الله شيء منها في الضوابط من الصدق والأمانة والإخلاص وما إلى ذلك.

الفقرة الثالثة : هي أهداف المنهج العلمي في التفكير .. ما هي أهداف المنهج العلمي في التفكير؟

⇦ **الهدف الأول: معرفة الحق** في القضية محل البحث ، وهذا يستلزم التخلي عن الأهواء والميول والتجرد عن التعصب

⇦ **الهدف الثاني: إثبات هذا الحق بالأدلة القاطعة والبراهين** الساطعة ، فيكون أخذه على أساس الدليل لا على أساس التقليد ، الذي يقلد هذا لم يتبع المنهج العلمي بل أتبع من قال بالمنهج العلمي ، والأولى بالمسلم أن يكون مستقلاً برأيه و لاسيما في مجال الأفكار التي تخدم الحياة.

⇦ **الهدف الثالث : الاجتماع عليه** -أي على الحق- ومجافاة ما سواه من الباطل الذميم ، وهذا يتضمن أمرين ، **العمل** بهذا الحق ومن ثم **الدعوة** إليه .

أما إذا وصل إلى هذا الحق وعرفه ولكنه لم يعمل به هنا تكون المصيبة مصيبتان وقد نهى الله تبارك وتعالى عن الذين يفصلون بين القول والعمل{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ }الصف٣-٤ ، فلابد من العمل إذا علم به لابد أن يعمل ،ولذلك يندر أن تجد آية في كتاب الله تفصل بين العلم والعمل ، {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } التين ٦ ، فالعلم والعمل شيء واحد ، ثم لا يكتفي أن يعمل به ، بل يدعو إليه ، ما دام أنه حق مقتنع به ، لابد أن يدعوا إلى ما توصل إليه ، وإلا لن يتعدى نفعه ، ومن هنا لا بد من الأمرين مجتمعين .

أن يعمل بما توصل إليه من نتائج هذه الأفكار وأن يدعو إلى نتائج هذا العمل ،ولكن كما قلنا الدعوة بالحسنى وليست بالإجبار فهذه قضية أفكار .

الحلقة (٤)

قد تحدثنا في الحلقة الأولى عن جزء من مناهج التفكير العلمي في الفكر الإسلامي ، حيث تحدثنا عن التعريف، وأهمية إتباع هذا المنهج وأهداف هذه المناهج .

موضوعنا في هذه الحلقة هو: **أنواع مناهج التفكير في الفكر الإسلامي.**

تنقسم مناهج التفكير في الفكر الإسلامي إلى عدة مناهج ، **سنكتفي منها بأهمها وهي ثلاثة :**

١- **المنهج الاستدلالي** ٢- المنهج الاستقرائي ٣- المنهج الاسترادي .

وعندنا **منهج رابع يسمى المنهج التجريبي** ،ولكن هذا المنهج يُعد على أنه منهج باعتبار الطريقة، أما المناهج الثلاثة الأولى فهي باعتبار نوع العمليات العقلية .

إذا أنواع مناهج التفكير في الفكر الإسلامي تدور على فقرتين كبيرتين :

✓ **أنواع المناهج من حيث نوع العمليات العقلية التي توجهها ،وتسير عليها ،وهي ثلاثة** :كما قلنا الاستدلالي والاستقرائي و الإسترادي.

✓ **أنواع المناهج باعتبار الطريقة التي يتم بها التفكر، والبحث ، وهو ما يسمى بالمنهج التجريبي .**

ولنبدأ بتفصيل تلك الأنواع :

- أنواع المناهج من حيث نوع العمليات العقلية التي توجهها وتسير عليها

◈ أولا : المنهج الاستدلالي . ومن أسمائه "الاستنباطي" ونجمعها فنقول الاستدلالي الاستنباطي .

الاستدلال لغة : طلب الدليل ،لأن السين والتاء في اللغة تأتي للطلب.

الاستدلال اصطلاحا : تقرير الدليل بإثبات المدلول ، وبتوضيح هذه القضية في التعريف الاصطلاحي يقول الجرجاني: " أن تقرير الدليل لإثبات المدلول، يتم سواء أكان ذلك من الأثر إلى المؤثر ، أو من المؤثر إلى الأثر، أو من أحد الأثرين إلى الآخر" .

ويمثل لها بقولة :مثال "كونه من الأثر إلى المؤثر" : أن الأكل والشرب يَحْرم في نهار رمضان ، والمؤثر هو قولة تعالى:{ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ }البقرة١٨٧، هذا مثال كونه من الأثر إلى المؤثر .

مثال "كونه من المؤثر إلى الأثر" : أن علة تحريم الخمر هي الإسكار، فمتى ما وجد في شيء من المشروبات إسكار فهو محرم ، المؤثر هو الإسكار ، والأثر أن أي إسكار في أي مشروب ، فهو محرم ، أو من أحد الأثرين إلى الآخر فالمثال فيهما قائم .[1]

لنأخذ صورة من الصور للمنهج الاستدلالي وهو القياس.

فالقياس باب عظيم من أبواب أصول الفقه، وهو الذي يبنى على قياس فرع على أصل ، والأصل ثابت في الكتاب والسنة ، والفرع يبنى عليه ، فما هو تعريف القياس؟

القياس : هو رد الشيء إلى نظيره ، وعمل العقل فيه : هو الربط بين الأشياء وعللها ، وبين المقدمات والنتائج ، ويظهر عمل العقل في القياس في الحكم على الجزئي لثبوت ذلك الحكم في الكلي ، وهو أنواع :

أولها : قياس التمثيل : وهو إلحاق حكم قضية بقضية أخرى للمماثلة بين القضيتين، ومنه استدلاله سبحانه على البعث بالنشأة الأولى وبإحياء الأرض بعد موتها وبمن كانوا أمواتا فأحياهم ونحو ذلك ، من ذلك قول الله تبارك وتعالى : {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ }يس٧٨، ومثله في الحديث الشريف (توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم لمن سألته عن الحج عن أمها التي نذرت الحج عنها فماتت قبل الوفاء به ، فقال عليه الصلاة والسلام: (أرأيت أن كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟)

الثاني – هو القياس الشمولي الجامع : وهو مرتكز إلى مقدمة في مثل محاجة إبراهيم عليه السلام للنمرود { فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ }البقرة٢٥٨، الاستدلال متكئ على مقدمة مضمرة ،وهي أن المستحق للألوهية هو الخالق المتصرف في هذا الكون، فهو الذي يأتي بالشمس وهو الذي يذهب بها .

وإليه وجَّه النبي صلى الله عليه وسلم في تقييده للقواعد الشرعية التي تقاس عليها الجزئيات كما في قوله صلى الله عليه وسلم : (كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام) والنتيجة أن كل خمر حرام .

الثالث – قياس الأولى ، وهو إلحاق حكم مسألة بمسألة أخرى على أن هذه المسألة أكثر استحقاقا لذلك الحكم من المسالة الأصل ، ومنه قول المولى عز وجل عن شأن البعث قياساً له على خلق السموات والأرض وهما أعظم من خَلق الإنسان {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى}يس٨١

الرابع – قياس الخُلف ، وهو إثبات المطلوب بإبطال نقيضه ، ومنه قوله سبحانه : {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ }الأنبياء٢٢.

الخامس– قياس السبر والتقسيم : ويتم بحصر جميع أوصاف المسألة لإبطالها ، حتى لا يبقى ،إلا الجانب الصحيح في مثل

[1] أعاد الدكتور قول الجرجاني مرة أخرى.

قوله سبحانه : {ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذكرين حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ }الأنعام١٤٣

ومثله قوله سبحانه {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ }الطور٣٦

ونتيجة ذلك بطلان الفروض أن لا يبقى إلا أن لهم خالقاً متفردا أحداً . إلى غير ذلك من المسائل الاستدلالية التي جاء بها الوحي ، وكتب عنها العلماء في دراستهم للقرآن والسنة.

هناك صور للخلل يقع فيها كثير من الناس عندما يطبقون هذا المنهج / مثلا :

١- **الجهل بدلالات النصوص** ، ووجه الاستدلال في مثل ما حصل للخوارج ،عندما استدلوا بالنص بناء على فهمهم ،كما في تكفيرهم صاحب الكبيرة ، بناء على فهمهم الخاطئ للنصوص.

٢- **الاستدلال بالدليل في غير ما يدل عليه** : مثل الاستدلال بمشروعية الذكر مطلقا على جوازه بصورة جماعية .

٣-**الجهل بأسباب النزول**: مثل حديث (أنتم أعلم بأمور دنياكم) استدل به بعض العلمانيين أن أمور الدنيا ، موكلة إلى الناس بلا قيود .

٤- **التأويل الفاسد** : مثل تأويل أصحاب البدع لقوله تعالى: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }الشورى١١ ، على **نفي الصفات عن الله عز وجل.**

◊ **المنهج الثاني: هو المنهج الاستقرائي**

الاستقرائي لغة: هو التتبع .

واصطلاحا : هو الحكم على الكلي لثبوت ذلك الحكم في الجزئي .

ما هو عمل العقل فيه ؟

يتمثل في الخروج بإحكام كلية ،أو قواعد أغلبية من خلال تتبع الجزئيات .

للاستقراء أقسام :

١- **استقراء تام** : وهو الحكم على الكلي ، لوجود ذلك الحكم في جميع جزئياته .

٢-**استقراء ناقص** : وهو الحكم على الكلي بما يُحكم به على بعض أجزائه ، وهذا لا يفيد يقيناً تاماً بل يفيد **ظناً** ؛ لجواز وجود جزئي آخر لم يُستقرأ ، وقد يكون حكمه مخالفاً للجزئيات التي استقرئت .

مثاله الاستقراء في جدول الامتحانات هو استقراء ناقص ، عندما يوضع جدول امتحانات مبدئي احتمال أنه يُنقض لأنه ربما يكون هناك تعارض كما تعرفون في مسألة الدراسة ، ومثل قولنا "**كل جسم متحيز** " هذا استقراء تام ، و "الجسم أما حيوان ،أو نبات ، أو جماد وكل واحد منها متحيز " .

◊ **المنهج الثالث** : **المنهج الإستردادي ويسمى التاريخي** .

المنهج الاسترادادي **هو منهج يعتمد على النصوص والوثائق فيتأكد من صحتها ويفهمها على وجهها، ولا يحملها أكثر من طاقتها ، ويستنتج العلاقة بين الأحداث ويربط بينها على أساس من الأدلة العلمية** ، ويُستخدم هذا المنهج بصفة خاصة في الدراسات التاريخية والخُلقية. **عمل العقل فيه: تمحيص الروايات والإخبار ، وتحليلها ، وكشف العلاقة بين الأحداث تأثيرا وتأثراً** ، **مثال** : عند الدراسة لمخطوطة من المخطوطات مجهولة المؤلف ، أو سنة التأليف ؛ فإنه يستدل على تاريخها عن طريق موضوعها، وشخصياتها وخطها، وأسلوبها .

- من النماذج لدراسة الأخبار : القصيدة المشهورة التي روي أن الصحابة قالوها " **طلع البدر علينا من ثنيات الوداع** " الخ ، قيل أنها في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن المحققين من العلماء قالوا: بل هي بعد عودته من غزوة تبوك ، لأن ثنيَّات الوداع شمال المدينة ، وهذا يقتضي قدومه من الشمال أما عند الهجرة فكان قدومه من الجنوب.

- أيضاً قصة العنكبوت وقصة الهجرة ، والحمامتين اللتين ورد أنهما عشعشتا وباضت على المكان ، ونسجت العنكبوت خيوطها قالوا :إنها لم تذكر بسند صحيح ،ثم إنها مخالفة لما ورد من قول أبي بكر "**يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى موضع قدمه لرآنا فأخذ الله أبصارهم** " وهنا الإعجاز أنهم لا يرون على الرغم من أنه لا وجود لحائل . ويكون لو صحت الرواية أن هناك إعجاز بأن هذه بنَت بيتها في وقت قصير جدا .

هذه هي المناهج الثلاثة الكبرى في التفكير العلمي وهي المنهج الاستدلالي ، والمنهج الاستقرائي ، والمنهج الاسترادي.

ومن المناهج الأخرى التي يتم فيها التصنيف باعتبار الطريقة التي يتم بها البحث **المنهج التجريبي** ، وهو الذي يُعرف **بأنه اختبار منظم لظاهرة ، أو أكثر ، وملاحظتها ملاحظة دقيقة للتوصل إلى نتيجة معينة .**

أيضا ربما عُرف بأنه: **الطريقة المشتملة على الملاحظة ، والتصنيف ، والفرض ، والتجريب ، والتحقيق، وفي المنهج التجريبي عادة ما تجري التجارب تحت فروق معينه وهي التحكم في جميع المتغيرات والعوامل الأساسية باستثناء متغير واحد وذلك لقياس تأثيره على الظاهرة محل البحث .**

خطوات التجربة :

١-الفرض وهو تفسير مؤقت لظاهرة من الظواهر.

٢- التجربة وهي اختبار الفرض للتحقق من صحته ، مع ملاحظة أن الظاهرة قد تكون قائمة على عدة متغيرات وهذا هو الغالب . وهذا يحتاج إلى ضبط لمختلف المتغيرات المؤثرة في الظاهرة ، إلا عامل واحد يتحكم فيه الباحث ويغيره بقصد تحديد وقياس تأثيره على الظاهرة (محل البحث) .

ولكن ما هي مراحل المنهج التجريبي؟

ربما بعض الباحثين يعتبر الفرض قضية علمية عليه أن يبرهن ويدافع عنها وهذا غير صحيح ، لأن الفرض خاضع للتجربة وليس العكس ، فقد يثبت مع التجربة عدم صحة الفرض ، وللخروج من هذا المحذور ، يقترح بعضهم أن يلجأ الباحث إلى مبدأ الفروض المتعددة ، لئلا يقع في خطأ اختياره فرضا واحداً .

هذا فيما يتعلق بالمنهج التجريبي الذي لا بد له على الأقل في ميادين البحث الميداني ، فهو دائما يعتمد على التجربة سواء كان علمياً أو كان حتى نظرياً ، أحيانا البحث الميداني له علاقة بالتجربة ولكن ليست التجربة العلمية للمعامل وما إليها ، وإنما التجربة من خلال أوراق عمل تعد فيما يسمى بالاستبيانات .

إذاً هذه هي أهم المناهج العلمية المتبعة في التفكير العلمي عموماً ، وفي الإسلام من باب أولى ، بعضها يأتي من حيث نوع العمليات التي توجهها ،وهي كما قلنا : المنهج الاستدلالي الاستنباطي ،والثاني المنهج الاستقرائي ، والثالث المنهج الاسترادي التاريخي ، وبعضها يأتي عن طريق الطريقة التي يتم بها البحث ومنها المنهج التجريبي.

هذه المناهج كما رأينا من الأهمية بمكان ، ولا بد من إتباعها لنصل إلى نتائج سليمة ، ورأينا نماذج من التراث الفكري الإسلامي التي تناولنا شيء منها من مقالات العلماء تدل على أنهم كانوا يستخدمون تلك المناهج حتى قبل أن تعرف

بأسلوبها العلمي المعاصر ، ولكنهم كانوا يستخدمونها نظراً لسلامة عقولهم ثم بلورت وأصبحت طريقا طبيعيا وضروريا للوصول إلى نتائج أقرب للصواب ، بل هي صواب في الغالب ، ولكنها أحيانا تكون اقرب للصواب بحكم أن هناك خطأ في المقدمات ، **فإذا صحت المقدمات صحت النتائج** ، والخلل يأتي في النتائج من عدم إثبات المقدمة [1].

-المنهج الثالث :الإسترادادي، وهو غالبا يسترد الأشياء،والاسترداد إنما يأتي عبر التاريخ،ولذلك الدراسات التاريخية في الغالب وإن أخذت أسلوب الاستدلال أو الأسلوب الإستقرائي إلا أنها أكثر ما تعتمد على المنهج الاسترادادي ،وقد يستخدم شخص آخر حتى ولو كان بحثا شرعيا أو تفكيرا في المجال الشرعي أو المجال الفكري قد يستخدم المنهج الإسترادادي عندما يحتاج للدليل التاريخي.

والمنهج مهم في الدراسات التاريخية مثلا ربما يكون من الحكم على الحديث في قضية السند ،وأحيانا قد يكون في المتن، فالمنهج مثلا هنا دراسة للمتن لا للسند-

فهذه المناهج لا يستغنى عنها طالب العلم، والذي يشارك في البحث ،أو يطلب منه أن يُعد بحثا ، لابد أن يعرف هذه المناهج وهي شرط إجباري لقبول الرسائل العلمية وهي مفيدة على كل حال في كافة شئون الحياة ،ومن هنا ذكرها للطلاب والطالبات لكي يستفيدوا منها في قضية الوصول إلى نتائج صحيحة.

الحلقة (٥)

الحديث في هذه هي الحلقة عن **مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي** ، ويتبعها حلقات .

إن مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي متعددة ،كتعددها في الفكر البشري .

فما هي تلك المصادر ، التي يستفيد منها المسلمون لإنتاج فكر متميز ؟

هل كل مصدر بشري يصلح أن يكون مصدراً للفكر الإسلامي ! ؟

المصادر هي من باب المقوِّمات ، ولذلك في العنوان الرئيسي المعتمد كان "**مقومات الفكر الإسلامي** " ، المقوِّم ، في تعريفه العام الذي تتضح به الأمور ، **هو ما يقوم عليه الشيء** وهو جمع مقوِّم ، يعني كأنه أساس ، فالفكر الإسلامي يقوم على مصادر وأُسس ،وخصائص ، **والمقومات تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي: مصادر، وأُسس ، وخصائص** .

حديثنا اليوم والحلقات التالية سيكون عن أول تلك المقومات الكبرى، وهي المصادر (**مصادر الفكر الإسلامي**) فالمصادر من حيث أصل وضع اللغة : **جمع مصدر**، وهو مشتق من مادة "ص، د ،ر" **التي تدل على الصدر، وهو أعلى مُقدَّم كل شيء وأوله** .

والصَّدور هو الرجوع بعد الاستمداد ، استمداد من أي شيء ، وأطلقه العرب على الماء عندما يَرِد الناس على الماء ثم يرتوون منه ، يقول صدروا عنه .

والمصدر أصل الكلمة التي تصدر منها صدور الأفعال ، واضح أنها مقدم كل شيء، ولا شك أن المصادر في أي شيء (**مصادر التشريع الإسلامي ، ومصادر الثقافة الإسلامية ، وفي موضوعنا مصادر الفكر الإسلامي** ، هي أول ما يتحدث عنه في قضية المقومات).

---

[1] أعاد الشيخ أنواع المناهج مع التعاريف

ولكن لو أردنا تعدادها بشكل عام ، يمكن أن نتحدث عن أهمها :

أولها : **الوحي الإلهي** ، وهذا ليس خاص بالمسلمين فقط ،وإنما عام لكل الديانات السابقة ، ولكن معالم هذا الوحي ضاعت مع التحريف فلم يبق ما عندهم وحيا ؛ **وإنما هو فكر بشري اختلط بشيء من الوحي**، فلا ينطبق أن يسمى ما عندهم وحيا ، وإن كان في يوم من الأيام قبل التحريف كان وحيا ، كاليهودية ،والنصرانية أو بدستوريهما التوراة والإنجيل.

ولم يبق إلا الوحي الأخير الذي جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ممثلاً في لقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

المصدر الثاني: **العقل وهو عام لكل البشر ،ولا يزال قائما بل هو الأصل عند كافة البشر** ، وسنرى إن شاء الله أنه عند المسلمين له اعتباره ، ولكنه يأتي بعد الوحي ، فلا مقارنة بين ما يصدر عن الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وبين ما ينتجه العقل البشري القاصر .

المصدر الثالث : **الحواس** سنعرفها إن شاء الله في حينها.

المصدر الرابع : هو **الإلهام** .

المصدر الخامس: **الرؤيا المنامية ،أو الرؤى المنامية "بالجمع"**.

المصدر السادس: **الحدْس** وسنتحدث عنه باعتبار أن الكلمة وإن كانت عربيه فهي ليست بذلك التداول.

المصدر السابع : **الاستمداد عن البشر**، أن تأخذ عن البشر بمعزل عن الوحي.

هذه هي أهم المصادر في الفكر البشري **فماذا يصلح منها؟**

ولكن من حيث المبدأ نأخذ أهمية هذه المصادر بعمومها ، ما هي أهميتها كفقرة أخرى بعد أن تحدثنا عن مفهوم المصادر، وأنواع المصادر في الفكر البشري ، **ما هي أهمية هذه المصادر في الفكر البشري** ،ومن ثم الفكر الإسلامي ؟

أهمية مصادر المعرفة في الفكر البشري :

الكلام هنا عام في الفكر البشري أيا كانت المصدرية سواء كانت حقا أو باطلة ثم نصل إلى أهمية المصادر في الفكر الإسلامي والتي يُعتد به منها مما لا يعتد به.

لا مراء ! في أن مصادر المعرفة في الفكر البشري أساس عظيم للمبادئ التي تقوم عليها حياة كثير من الناس فكراً وتطبيقاً ،- أي مبدأ لا بد أن يقوم على مصدرية ،

فتعدد الاتجاهات الفلسفية - ومعروف موقف الإسلام من الفلسفة وحديثنا في الفكر البشري - مثلا ، أساسه مصدرية المعرفة ، فالاتجاهات المثالية -وهذه نوع من الفلسفات - فهناك أيضا فلسفات مادية ،وفلسفات مثاليه ، فالاتجاهات المثالية هي التي جعلت **العقل** مصدر المعرفة دون ما سواه ، والمادية -القسم الآخر- هي التي انقطعت إلى **الحس والتجربة** المادية وهكذا .[1]

والأساس الذي تقوم عليه مباينة الإسلام لسائر المذاهب البشرية ، هو اعتبار الوحي الإلهي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم مصدراً أوليا في العلم الذي تقوم عليه حياة الإنسان ، هذا هو الفرق .

فالمذاهب البشرية عقل ، وبقية الأمور سواء حسية أو معنوية، أما في الإسلام فمع اعتباره لبعض تلك المصادر إلا أن المقدم عنده وهو الأساس والذي لا تقوم به حياة المسلم باتزان ،إلا بمصدرية الوحي ، هذا في الدنيا أما الآخرة فليس من نصيب

[1] أعاد الدكتور الفرق بين الفلسفات المادية والفلسفات المثالية.

ممن لم يأخذ بالوحي طريقاً ومنهجاً .

ولذلك فالخلاف بين الفرق المنتسبة للإسلام كالصوفية والمعتزلة والفلاسفة وأهل السنة (بين مذاهب الحق ومذاهب الباطل حتى لو كانت باطل فلا تخرج بعمومها من الإسلام ، ولكن عندهم خلل عظيم كالصوفية ، والمعتزلة والفلاسفة ،والنجاة ؛ في إتباع السنة) هذه المذاهب والفرق المنتسبة للإسلام منها ما هو على حق ومنها ما هو على باطل ، **ما هو أساس ذلك؟**

السبب في النظرة إلى مصدرية المعرفة من حيث أولويتها في المعرفة نقلاً ،أو عقلاً ،أو ذوقاً وخصوصاً في قضايا العقيدة

ولهذا كان التصنيف الإسلامي لمصادر العلم مقوِّماً (قلنا مصادر مقوِّم يرتكز عليه الفكر الإسلامي سواء كان هذا الفكر صافٍ سليم كفكر أهل السنة أو فكر عليه غبش كما هو الحال في المذاهب المنحرفة ،عن منهج الإسلام الصحيح) **فكلهم يأخذون من هذه المصادر ، ولكن الخلاف بينهم في التقديم .**

إذا أهل السنة يقدمون الوحي ، ثم يأخذون ببقية المصادر التي لا تتعارض مع هذا الوحي ، أما غيرهم فربما قدم بعض المصادر على الوحي نفسه من غير إنكار للوحي وهنا تأتي المفارقة .

إذا التصنيف الإسلامي لمصادر العلوم مقوِّم عظيم ،يرتكز عليه الفكر الإسلامي ليتميز عن الأفكار الأخرى المرتكزة على تصانيف مخالفة ، هذا إذا كان بين المسلمين أنفسهم ،بين أهل الحق والضلال منهم!! فكيف إذا كان بين المسلمين وغيرهم من الكفار الذين لا يدينون بالإسلام ،ولا ينتسبون إليه؟، هنا ستصبح المفارقة أعظم وأعظم ولاسيما في عصرنا هذا عصر المادية الذي لا يؤمن إلا بالمحسوس من خلال التجربة.

ولذلك باستطاعتنا أن نُلمَّ بالتصنيف الإسلامي لهذه المصادر من خلال العناصر التالية :

أولا: **الأساس الذي يقوم عليه منهج التصنيف الإسلامي هو العقيدة الإسلامية** بقضاياها المتعددة المعروفة باسم **أركان الإيمان** ،وهي الإيمان بالله ،وملائكته ،وكتبه ، ورسله ،والقدر خيره وشره ،واليوم الآخر .

إذاً أهم أساس من هذه العناصر وأهم عنصر وهو الأساس الذي يقوم عليه منهج التصنيف الإسلامي في العقيدة ، من حيث قضاياها الكثيرة عن الوجود ، والإنسان ، وعلاقاته بموجودات هذا الوجود .

والموجودات هي مجالات معرفة الإنسان سواء كانت غيبية ،أو كونية مشهودة ، **وأعظم موجود هو الخالق** ، الذي لا تدركه الأبصار ثم ما سواه من المخلوقات.

فالفكر الإسلامي يقوم على العقيدة وسيأتي إن شاء الله مزيد إيضاح وهو ما يتعلق بالوجود الشهودي والوجود الغيبي {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ }الرعد٩، هذا في حق المولى تبارك وتعالى والمصدرية منه ، فعالم الغيب هذا هو أركان الإيمان التي جاءت بها العقائد ، وإن كان بعض تلك الإيمانيات ليست غيبا مطلقا في فترة من الفترات

- كالرسول صلى الله عليه وسلم بالنسبة للصحابة ليس غيبا ، وإن كان بالنسبة لنا غيباً ،
- الكتب السابقة عند أهلها ليست غيباً في وقت نزولها ولكنها عندنا غيباً ، القرآن لا يدخل ضمن نطاق هذه الكتب بعمومه ،وإن كان في تفصيلاته ربما لها مداخل ،
- والملائكة الكرام عليهم السلام هم غيب ، ولكن هناك أناسا رأوهم ، ونحن نتحدث عن العموم والعموم بهذا الشكل أن القضايا الغيبية هي التي تتمثل في أركان الإيمان وهذا هو الأساس الأول الذي تقوم عليه العقيدة ،أنه يستقي فكره السليم من العقيدة ، **والعقيدة لا يمكن إدراكها من خلال العقل** ،وإنما من خلال الوحي.

أما العالم المشهود فهو ما نشاهده من خلال الحواس الخمس :إما بالسمع ،أو البصر ،أو اللمس، أو الذوق ،أو الشم ، هذه تسمى الحواس الخمس وهي ما يعبر عنه فلسفياً باسم الفيزيقيا والميتافيزيقيا.

فالتصنيف الإسلامي يقوم على أساس العقيدة (الأساس الأول) بتقسيماتها ،والإنسان هو مورد المعرفة ولا شك التي تقوم عليها حياته الروحية ، والمادية ، هذا القيام الذي يقضي بضرورة تلك المعرفة بالموجودات الإنسانية. ولمحدودية الإنسان كله بما يحمله من مصادر بشرية للمعرفة ،كانت رحمة الله بإمداده بمصادر معرفتهم فوق مصادره البشرية .

إذاً الإنسان عنده مصادر ، لكن الذي لا يخضع لهذه المصادر (عالم الغيب) **كيف يأتي** ؟ لا يأتي إلا من خلال رحمة الله بأن أمدنا بهذا **الوحي** الكريم الذي به معرفة الغيبيات ،ومن ثم النجاة في الأخرى ، فقيام تصنيف مصادر المعرفة في الإسلام على أساسه العقدي ليس بدعا ، بل هو عام في نظريات المعرفة المختلفة ،التي قام التصنيف في كل منها من خلال فلسفة معينة في الوجود كما يشهد بذلك تاريخ فلسفة المعرفة .

فالعقيدة معتبرة سواء كانت عقيدة صحيحة، أو باطلة بالنسبة لغير المسلمين ، ربما قامت أفكارهم على عقائد لكن هذه العقائد كما قلنا لا شك أنها باطلة ، فكون الإسلام يقوم على عقيدة هذا هو العاصم له ، وهو الحصن الحصين وبالتالي هنا التميز وهنا الفرق .

فالتأرجح بين الكتب السماوية التي حُرفت ، والفلسفات العقلية يتبعه التأرجح في مصدرية المعرفة ، بين العقل والوحي حتى عند بعض المخالفين لدى بعض فلاسفة النصرانية، أو من أنتسب إلى الإسلام ، قلنا أن الخلاف موجود سواء مع الكافر أصلا ، أو حتى مع المنتسب للإسلام فما خالف فيه فلا بد من المفارقة فيه ،وما اتُفق عليه يصبح محل الاجتماع مع محاولة إصلاح الخلل ، إذاً التأرجح بين كتب الأديان السماوية الصحيحة منها الإسلام ، والمحرفة منها اليهودية والنصرانية والتوراة والإنجيل والفلسفات العقلية يتبعه قطعاً التأرجح في مصدرية المعرفة بين العقل والوحي .

كما قلنا لدى النصارى أو ما يعرف بالمسيحيين أو بين الفلاسفة المنتسبين للإسلام ونحوهم ، فالنصارى يعتقدون أن كتابهم الإنجيل كتاباً صحيحا (ليس كلهم وإنما المتشددون منهم والمتعصبون ، لكن النقل النصي والعقلي يثبت خلاف ذلك) **وكذلك حال التوراة بالنسبة لليهود** .

وكذلك الحال المنتسبين للإسلام في فرقهم وإن التقينا على شيء أساسي وهو الشهادتان ، إلا أن المخالفات تأتي في مصدرية المعرفة . فإذا الأساس الأول هو قضية العقيدة .

والأساس الثاني : بعد العقيدة هي متعددة جداً تشمل كل جوانب المعرفة التي يقوم عليها الإسلام ومن ضمنها في عالم الوحي **التشريع الإسلامي** وهو يأتي بعد العقيدة في قيام الفكر الإسلامي عليه ، فإذا كان الفكر الإسلامي عنده منهج عقدي فهذه هي العقيدة ، فعنده منهج عبادي ، وعنده منهج في الفتوى هذا في مجال التشريع ، وفي مجالات الحياة المختلفة عنده منهج إداري واقتصادي وثقافي واجتماعي وسياسي وهلم جَرَا ، فكل هذه تؤسس على أسس ثابتة وراسخة يعتمدها الفكر الإسلامي إذا هذه الأسس التي يقوم عليها التصنيف الإسلامي للعلوم هي عناصر :

أولها : أساس العقيدة

والثاني::أساس التشريع الإسلامي

والثالث: كافة ما يصدر في الحياة بما لا يتناقض مع ما جاء به الوحي الشريف .

هذا ما يتعلق بقضية أهمية تلك المصادر المعرفية في الفكر البشري ، وموجزه أن حياة البشر تقوم على مصادر مختلفة منها

ما يقره الإسلام يأخذه به ومنها ما لا يعتبره فينفيه نفياً قاطعاً ، هذا بالنسبة بين مفكر مسلم ، وبين مفكر غير مسلم أو كافر.

بالنسبة للمسلمين أنفسهم لا نراهم على منهج واحد فمنهم أهل الحق وهم أهل السنة والجماعة ،وهو المذهب الذي نحن عليه ونسال الله الثبات عليه حتى الممات ، **ومنهم فرق مختلفة وإن انتسبت للإسلام كالصوفية وغيرها** – وسنرى ذلك حينما نتكلم عن المصادر نفسها- ، فالمسألة تدور على هذا الأساس على قضية عقيدة ، مسلم وكافر / مسلم حقيقي ومسلم عنده إشكالات هذا **الأمر الأول ، والثاني** : قضية التشريع الإسلامي **والثالث** : مصادر المعرفة البشرية في مجال السياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع وما إلى ذلك.

الحلقة (٦)

تحدثنا في الحلقة السابقة ،عن **مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي** ، وذكرنا أهمية تلك المصادر وتعدادها بوجه عام.

والآن نبدأ بالتفصيل ، **فما الذي يصلح منها للفكر الإسلامي وما الذي لا يصلح ؟**

- **أول المصادر وأجمعها وأشملها** : **هو الوحي الإلهي** ، والوحي الإلهي ،كما قلنا ليس خاصاً بالمسلمين وإنما هو عام لكل الأنبياء الكرام عليهم السلام ، فكل نبي ، أو رسول أُوحي إليه ، فإذا كان نبي أوحي إليه بتجديد شريعة من قَبله ، وإن كان رسولاً فربما جدد شريعة من قبله أو أضاف إليها، أو جاء بشريعة مستقلة .

والأنبياء كما هو معروف بالآلاف والرسل بالمئات ، **والمشاهير منهم ٢٥ رسولاً ذُكروا في القرآن الكريم**، وأكرمهم وخاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام .

الوحي الذي جاء للأنبياء الكرام السابقين لم يبق منه شيء يعتد به ، حتى وإن أدعى أرباب تلك الديانات أن هذا هو الوحي ، كما هو الحال في التوراة عند اليهود ،والإنجيل عند النصارى، لكن الصحيح أنه وإن بقي فيها شيء نظراً لموافقته لكتابنا القرآن الكريم ، فالمحرف أكثر بنص القرآن الكريم ، فبالتالي ليست وحياً ، باعتراف منصفيهم وعلمائهم ، إذاً لم يبق إلا القرآن الكريم الذي جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، **وهو المحفوظ إلى قيام الساعة** قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }الحجر٩، والذكر هنا : هو الوحي الذي يتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى }النجم٤.

فما هو الوحي من حيث أصل الوضع اللغوي ؟

الوحي لغة : **هو الإعلام السريع الخفي** ، هذا في لغة العرب وهي كلمة مستخدمة عندهم ،حتى قبل أن يعرفوا أنه خطاب إلهي . وحي يعني إخبار سريع خفي، أو إعلام وهو الأخبار .

وفي الاصطلاح : **فهو التعاليم الصادرة عن الله عز وجل مباشرة أو بواسطة الملَك إلى أنبيائه الكرام** ، وأخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ، بالإضافة إلى مصادر أخرى **كالخطاب الإلهي مباشرة** ،كما خاطب النبي ربه في رحلة المعراج المشهورة ، **أو عن طريق الإلهام ، أو عن طريق الرؤيا فرؤيا الأنبياء حق** .

ويتمثل بنصوص القرآن والسنة النبوية المطهرة ، ولسنا بحاجة إلى أن نُعَرِّف القرآن والسنة ، فليس موضوعنا

- **فالقرآن**: **هو** كلام الله المدون بين دفتي المصحف الشريف .

- **والسنة: هي** ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول ، أو فعل ،أو تقرير .

وأعظم ميزة للوحي ؛ أن ما قدمه من علم هو حق ويقين؛ لأنه من الله العليم الحكيم ، أما أعظم مجالاته ،عَبْر التشريع في العبادات **فهي الأمور الغيبية** ، التي يتفرد الوحي فيها بإعطاء علم صادق عنها ، الوحي جاء بالأمور الغيبية وجاء بالأمور المشهودة ، الأمور المشهودة ربما العقل البشري يصل فيها إلى نتائج ، ولكن قد تكون قاصرة ، أما الأمور الغيبية فهي خاصة بهذا الوحي الإلهي ، وهو للأنبياء ولكن ليس له وجود إلا مع الرسالة الخاتمة ،رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

إذاً يتفرد الوحي الذي جاء إلى نبينا صلى الله عليه وسلم ،بأنه في الأمور الغيبية ، هذا التفرد لا يشاركه فيه أحد ؛لأنه يعطي تفصيلات دقيقة عن عالم لا يمكن للعقول أن تصل فيه إلى نتيجة مطلقاً .

فمن أعظم اختصاصات الوحي: أنه مصدر للمعرفة في عالم الغيب ،أو ما يسمونه فلسفياً بما وراء الطبيعة ، حيث يُعرَّف الإنسان بما له حاجة إلى معرفته منها: **كصفات الله عز وجل ، التي لا تدرك بالعقل، والمبدأ ،والمصير، والحياة الآخرة وأحوالها ، والقضاء ، والقدر ونحوها ، هذا هو مجال الوحي في عالم الغيب** ، الوحي لم يعطينا كل التفصيلات فيما يتعلق بالغيبيات ،ولاسيما في حق الله تبارك وتعالى وملائكته وكذلك الحال في الأنبياء والمرسلين الذين قلنا أنهم بالآلاف ولا نعرف منهم إلا القليل ، **وكذلك حال عن أحوال الدار الآخرة** ، وأحوال القضاء والقدر ، فهذه كلها أمور مغيبة، أعطانا الإسلام منها ما تقوم به الحياة ويسعد به الإنسان في دنياه وأخراه ، أما يعطينا تفصيلات كاملة فذلك أمر لم يكن لحكمة إلاهية ، وربما كشف عنها يوم القيامة ، مثل الجنة والنار ، نعرف أخبار عنها ولكن رؤيتها عين اليقين فهذه إن شاء الله ! سيعرف المسلم الجنة ، والكافر النار رأي العين ، **وكذلك الحال في رؤيا المولى تبارك وتعالى** ، هذه في الدنيا غير واردة ، والوحي لم يُمكن الإنسان من هذه القضية ،{قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي} هكذا ، ولكن في الآخرة سيُرى الله عز وجل في المنهج الصحيح لأهل السنة والجماعة ، **كذلك القضاء والقدر فالإنسان محجوب عنه القضاء والقدر**، والحديث فيه لا يؤدي إلى أي نتيجة إلا التسليم المطلق لماذا ؟ لأنه غيب والله عز وجل هو خالق هذا الإنسان، وخالق أفعاله ، فالإنسان لا يدري عن حاله شيء ، والإنسان له اختيار في بعض القضايا كالهداية والغواية {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ }البلد١٠ ، إلا أنه في مسار حياة الإنسان القدر سرٌ خفي في هذا الإنسان .

طبعا تفصيلات الوحي لو شئنا أن نتحدث عنها تبقى طويلة جدا، **ولكن نحن نأخذ الوحي كمصدريه فقط أنه مصدر من مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي ، لا يشاركه اليوم فيها أحد ، منهج متفرد ليس له مثيل على الإطلاق ، إذاً المصدر الأول هو مصدرية الوحي .**

- المصدر الثاني: **العقل وهذا يشترك فيه المسلمون وغيرهم ، بل إنه المصدر الأول عند غير المسلمين** ، ولاسيما الحضارة الغربية المعاصرة ، هو المصدر عندهم ، كما هو الحال عند **المعتزلة** في تقديمات العقل في بعض المسائل ، **لكن عند المسلمين العقل يعتد به ولكنه مصدر ثاني بعد الوحي.**

فما هو العقل من حيث أصل وضع اللغة ؟

العقل لغة : الحبس والقيد عند العرب .

واصطلاحا : هو الغريزة ، بمعنى القوة ،أو الملكة التي جعلها الله في الإنسان يعقل بها .

- **يقول الجرجاني :"العقل جوهر روحاني خلقه الله متعلقاً بالبدن "**

وقال بعضهم :" **علوم ضرورية تقع ابتداء** "

◆ وعلماء الأصول العقلاء قالوا: " **قوة غريزية في النفس يتمكن من إدراك الحقائق والتمييز بين الأمور** "

هذه تعريفات متعددة ، فلو أكتفينا بالأول لكفى ، وإن كانت الباقية صحيحة .

والعقل قسمان :

١.**عقل غريزي.**

٢.**عقل مكتسب**

فأي العقلين يعتبر مصدر من مصادر المعرفة ؟

الجواب : هو الغريزي ؛ لأنه هو الذي ترد عليه المعارف فيحللها ويستنتجها ،**أما المكتسب فهو نتاج هذا العقل الغريزي** ، فإذا فقد العقل الغريزي ،أصبح الإنسان مجنوناً، فبالتالي لا يأتي اكتساب. إلا في حدود ضيقه تتطلبها ضرورات الحياة بالنسبة للمجانين.أما عن عقل يُنتج ويُبدع فهذا لا يكون لأولئك.

فما هي ميادين العقل؟

أولها : أنه يتلقى الوحي ، فالوحي يُخاطب به العقل ، ولولا العقل لما كان التكليف ، أنه يتلقى الوحي ونصوصه ،وذلك تحقُقاً من صحتها وفهماً لمعانيها ، وأخذاً وتطبيقا لها ، وقياسا عليها عن طريق الاجتهاد ، **فهو أخصب مجال هُيئ للعقل ؛ هو عالم الشهادة.**

وقلنا هناك عالم الغيب وعالم الشهادة ، **عالم الغيب لا يمكن إدراكه إلا بالوحي** على الرغم من حديث الوحي عن عالم الشهادة ، لكن الغيب ليس له إلا مصدر واحد ! ، أما الشهادة فلها مصادر أولها الوحي ، ولكن المجال الخصب للعقل ليس عالم الغيب أبداً ، ويضل لو تاه فيها بل يتوه ، إنما العقل ميدانه العظيم هو عالم الشهادة ، الذي هو عالم الطبيعة ، وعالم الكون من حيث أنه مصدر انتفاع للإنسان في حياته المادية ، ووسيلة للارتقاء به إلى خالقه ومدبره ، والمهيمن عليه ليعرفه **كما أن العقل هو الدليل المرشد للإنسان نحو المصدر الثاني للوحي** ، من حيث التحقق من الصحة ،والسلامة ، **فلولا العقل لما كان الخطاب الإلهي الصادر من خلال الوحي .**

فماذا عن المقارنات بين العقل وبين الوحي؟ أو الصلة بين العقل والوحي؟ أو العلاقة بين العقل والوحي؟ كلها مصطلحات واحدة.

نأخذ مقارنه سريعة بين ذلك المصدرين الكبيرين ، الوحي أولا ، ثم العقل ثانياً .

أولا- أن العقل تابع للوحي؛ لأن الوحي حق مطلق فيما يقدمه من علم ؛ لأنه من الله فهو الأصل ، وأما العقل فهو مرتبط بالإنسان وفيه نقص ، وقصور في أصل خِلقته وتَعْرض له عَوارض تُضعف من قدرته ، ولذلك هو غير موثوق به في كل الأحوال ، هذا هو الفرق بين الخالق والمخلوق ، الوحي مصدره الخالق، والعقل مخلوق فلا مقارنة بين خالقٍ ومخلوق ، ثم هذا المخلوق ليس كاملاً!! يعتريه النقص في ذاته ،وبيئته ، وفي زمانيته ، وفي مكانيته ،ولذلك لا يستطيع التشريع.

ثانياً : أن الوحي هو المصدر الوحيد للوصول إلى معرفة صحيحة في الأمور الغيبية؛ لأنها خارج قدرة العقل ،وخارج مجاله تماماً ؛ لأنه قاصر في أصل خلقته ، وليس هذا مجاله الذي خُلق له ، وإنما مجال العقل هو أمور العالم المشاهد يبحث فيها وربما يخطئ حتى في فهمه للنصوص، ربما يخطئ ! فكيف بنا في أمور هي خارج نطاقه؛ ألا نشاهد ونعرف هذا من أنفسنا ؟!، لو فرضنا أن إنسان في غرفة، ويقف عند الباب شخص هل العقل يدري أن هناك شخص ينتظر ؟ ولو عرف من خلال وسيلة ما ، هل سيعرف من هو الشخص بدون مساعدات ؟! ، ولذلك إذا كان هذه أمور مشاهدة في حياتنا .

وكذلك الروح هل العقل يدرك ماهية الروح ؟ لا، لأنها أمر غيبي ! ، فكيف بالأمور الغيبية الخالصة التي طوى الله سبحانه علمه ؛ إلا ما أطلعنا عليه ، مما تقوم به الحياة في الدنيا الآخرة، من خلال الوحي في حق الله تبارك وتعالى وفي حق بقية المغيبات من الملائكة ، والكتب، والنبيين ، والقدر ، واليوم الآخر والروح.

فإذا تدخل العقل في أمور غيبية كانت النتيجة ضلال ، وهذا هو الذي حصل بالفرق المنتسبة إلى الإسلام ، التي ضلت وقدَّمت العقل في بعض المسائل ، فتاهت في بعض الأمور ومنها قضية القدر، والأسماء والصفات، والعدل والظلم ،وما إلى ذلك .

إذاً الوحي هو المصدر الوحيد للوصول إلى معرفة صحيحة في الأمور الغيبية ؛ لأنها خارج قدرة العقل ومجاله .

الفرق الثالث : **كل عقل صريح صحيح خالص من الشبهات (العقل الفطري) فإنه يطابق النقل الصحيح الصريح**، ولا تضاد ولا تعارض بل كل واحد يهدي للآخر ويدل عليه ويقود إليه ، يعني إذا كان النقل صحيحاً والعقل صريحا -عقل فطري ما تلوث بالبيئات الفاسدة كالفلسفات المادية وما إلى ذلك- هنا يحصل التطابق التام ،بين العقل وبين النقل ، العقل لا يعارض النقل أبداً ؛ بشرط أن يكون النقل صحيحاً .

وكل واحد (العقل والوحي) يهدي للآخر ، الوحي يدل على العقل و يعترف به، كل القرآن يقول: { أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }البقرة٤٤{ أَفَلَا تَسْمَعُونَ }القصص٧١){ أَفَلَا تُبْصِرُونَ }القصص٧٢ ، {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ }النساء٨٢، فالوحي يهدي للعقل ، والعقل إذا صار صريحا هدى إلى الوحي وعرف كنَّه الخطاب الإلهي ، فكل واحد يهدي للآخر ويدل عليه ويقود إليه .

رابعاً : **الوحي والعقل هما المصدران الأساسيان للمعرفة** "**هذه النتيجة**" ، أعظم مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي الوحي أولا ، ثم العقل المهتدي بهدي الوحي ثانيا ، هما الأساسان الكبيران للمعرفة مع الفارق بينهما ، وضرورة التقديم ، وما عداهما - إن صح- فتابع لهما بشرط أن يكون لا يخالف وحياً ولا عقلاً .[1]

يعني بقية المصادر يشترط أن تكون متسقة مع الوحي، ومع العقل .

- وأعظم مصادر المعرفة عند المسلمين ؛ هما الوحي والعقل ، وأما عند غير المسلمين فهو العقل فقط ، ولا وحي جملة وتفصيلاً ، بل هو منكر إلا في حالة استثنائية ؛ لأن الحضارة حضارة مادية حتى وإن لم تنف وجود الإله ، والديانات والرسل ، إلا أنها لا تعتد بهم جملة وتفصيلاً ، والحياة إنما تقوم على هذا المنهج العقلي الخالص ونعرف محاذير العقل.

بينما في الإسلام الوحي والعقل ، فالوحي أولا والعقل ثانيا.

هذه هي أهم المصادر التي يقوم عليها الفكر الإسلامي ، هل معنى ذلك أن بقية المصادر ليس لها دور، أو تمييز ؟

لا ، هناك مصادر سنتحدث إن شاء الله في الحلقة القادمة وسنرى هل لهذه المصادر دور أو ليس لها دور؟

هل يَعْترف بها الإسلام ! ، أو لا يَعْترف بها؟

هل يقوم الفكر الإسلامي الصحيح عليها ، أو لا يقوم ؟

هذه كما قلنا ستأتي إن شاء الله ولكن التركيز دائما يأتي على هاتين القضيتين: قضية العقل وقضية الوحي الإلهي ، **فإذاً الميزان الأول في الإسلام الذي تميز به المسلمون وتفردوا واختصوا به دون غيرهم من حضارات الأرض ؛ هو قضية الوحي** ، والتي لم يرعَ المسلمون للأسف هذه الخاصية حق رعايتها، فنرى الضلال في كثير من الأمور التي تجدُّ في حياتهم ، نظراً لأنهم عزلوا الوحي عنها ، وربما تقوم الحياة ومن ضمنها الفكر عند بعض المسلمين على غير هدي الوحي ، ولذلك حصلت

[1] أعاد الدكتور المقارنات والعلاقة بين الوحي والعقل.

الإشكالات في حياة الأمة لماذا؟

لأنها ؛ وإن لم تنكر الوحي جملة وتفصيلاً ، **إلا أنها ربما قدمت التحسين والتقبيح** ، وهذا خاضع للعقل ،كما هو منهج المعتزلة الذي ضلوا في كثير من الأمور ، ولذلك لا عاصم من الزلل في مجالات الحياة الإسلامية ولاسيما الفكر الإسلامي ، إلا الاعتماد على الوحي الإلهي ، ثم لا مانع من اتخاذ العقل إذا كان يسير في ركابه .

الحلقة (٧)

تابع - **مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي** ، وكانت الحلقة الماضية –السادسة- تحدثنا فيها عن مصدرين عظيمين:

المصدر الأول : **وهو الوحي** الذي تميز به المسلمون دون غيرهم

والمصدر الثاني : **هو العقل** الذي يعتد به الإسلام ولولا العقل لما كان الوحي.

هناك أيضاً عدة مصادر تالية:

- **المصدر الثالث** : **الإلهام ، فهل هذا مصدر معتد به في الفكر الإسلامي؟** لنرى ...

الإلهام في اللغة: التلقين ، وقد جاء نصه في القرآن الكريم، يقول المولى تبارك وتعالى:{فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}الشمس٨ ،

- **وقد عرَّفه الراغب الأصفهاني** بقوله: " **الإلهام: إلقاء الشيء في الروع، ويختص ذلك بما كان من جهة الله تبارك وتعالى ، ومن جهة الملأ الأعلى**" ، فهو إلقاء في الروع، إذاً لا مانع منه من الناحية الشرعية، لكنه غير منضبط إلا إذا كان للأنبياء، **فإذا كان للأنبياء فهو وحي**، انتهت القضية .

- لكن الكلام إذا كان لغير الأنبياء، هل هو مصدر يوثق به تماماً ؟ الأمر ليس كذلك، بل يشترط فيه ألا يتناقض مع المصدرين الأساسين (**الوحي أو العقل**) فإن تناقض هذا الإلهام معهما فلا عبرة به .

- **والصوفية من الفرق الإسلامية التي بالغت في هذا الجانب في قضية الإلهام** ،واتخذت منه منهجاً في مصدرية المعرفة . عند الصوفية هو: **النفث في الروع ، والإيقاع في القلب، من العلم غير القائم على النظر والاستدلال** ، هذا هو عيبه، لا يقوم على منطق من نظر أو استدلال ، وإنما يقوم على هوى وكشف وذوق وما إلى ذلك، ، فإذا كان بهذه الصورة فهو مصدر ليس موثوق به ! .

- أما **إذا كان يؤدي إلى نتيجة سليمة، ولا يتعارض مع المصدرين الأولين (الكتاب والسنة)** الممثلة في الوحي، ولا يتعارض مع معطيات العقل الصريح الصحيح فهنا فلا بأس به.

- والكلام هنا على غير الأنبياء ، **أما إذا كان للأنبياء فهو وحي**، لكن غير الأنبياء ربما يعتد به بهذا الشرط ، بهذا الضابط ألا يتعارض مع الوحي، أو مع العقل، ولعل قصة أم موسى - عليه السلام - في قضية إلقائه في اليم ، هذا نوع من الإلهام، فالنساء ليس فيهن نبيات ، حتى تخاطب مباشرة، وإنما هو إلهام، ولعل الإنسان -يعني أحياناً -يصل إلى نتيجة سليمة، وليس لها تفسير أحياناً منطقي وتصل إلى نتيجة ، هذا ممكن يعبر عنه بأنه نوع من الإلهام، فالإلهام بهذه الصورة يكون نوع من الوحي في بعض صوره ، ومنه ما جاء في شأن عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - أمير المؤمنين حيث: يقول فيه النبي – صلى الله عليه وسلم – : (لقد كان فيمن قبلكم مُحَدثُون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر) متفق عليه ، **يعني أنه يأتي بأمور ما لها تفسير إلا أن تكون إلهاماً**، وهي صحيحة ومطابقة لما جاء في الكتاب والسنة ، أو أن الكتاب والسنة تأتي

بما يوافق هذا الرأي الذي صدر عن عمر، في قضية الحجاب ،وما إلى ذلك، في فرضية الحجاب.

- **قال ابن حجر**: "ومن أوتي في روعه شيء من الملأ الأعلى، فيكون كالذي حدثه به غيره ، وهو الذي أُلهم الصواب الذي يلقى عليه فيه"، ومعروف ابن حجر عَلَم من أعلام المسلمين، يكفيه فخراً "فتح الباري في شرح صحيح الإمام البخاري"
- وذكر شيخ الإسلام **ابن تيمية** – رحمه الله تعالى – أنه يقع حوادث منها ما حصل لأبي بكر – رضي الله عنه – حين أُخبر أن في بطن امرأته أنثى، ومنها ما جرى لعمر – رضي الله عنه – حين كان يخطب على منبر المدينة، منبر مسجد الرسول – صلى الله عليه وسلم – في المدينة وقال: " **يا سارية الجبل**" وكان هذا في بلاد خُراسان، وحوصر ذلك الجيش بقيادة سارية ، وعمر يخطب – رضي الله عنه – فضاقت حيلة سارية، فإذا عمر– رضي الله عنه – **يُكشف له الموقف، فينطق بهذه الكلمة إلهاماً**، وهو لا يعي ماذا يقول ، حتى أنه حُدث بذلك فيما بعد، بعد الخطبة، ماذا قلت يا أمير المؤمنين؟ قال: وما قلت ؟ قالوا: قلت يا سارية الجبل، قال: ما علمت. ثم اتضح بعد ذلك أن الجيش قد سمع مقولة عمر، هذا لا يكون إلا إلهام لكن في الغالب لا يكون إلا للصالحين، فقال: يا سارية الجبل، فسمعه سارية مع أنه كان في ميدان المعركة وبينهما آلاف الأميال، هذا نوع من الإلهام.

إذاً يُفرَّق في الإلهام ، بينما يكون للأنبياء وغيرهم، **فإن كان للأنبياء فهو وحي**، وإن كان **لغيرهم فينظر هل هذا الملهم من الصالحين!!** إن كان كذلك فإنه في الغالب يكون له وجاهة ومصدرية مقبولة بشرط أن لا تعارض الكتاب والسنة ، إن صدر عن غير الملتزمين فينظر كذلك في حاله في حال هذا الرائي، إن كان كذلك فهو منَّة وكرامة من الله أو بشارة له لكي يعود أو ما إلى ذلك.

فما هي مصادر الإلهام؟

الإلهام على ثلاثة أنواع:

النوع الأول / **إلهام من الله تعالى للعبد**، وهذا الذي تحدثنا عنه، الذي يكون فيه صلاح للعبد في دنياه أو أخراه، كما قلنا لعمر – رضي الله عنه – كما قلنا لأم موسى، وكما قلنا لأبي بكر – رضي الله عنه – لكثير من الصالحين في هذه الأمة.

النوع الثاني / **إلهام من الجن والشياطين سواء كان خطاباً يسمعه أو إلقاء يلقيه في قلبه** ،كما في قول الله تعالى: {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ}الأنعام ١٢١

النوع الثالث / **إلهام ذاتي ينبع من النفس ويحصل بالرياضة، وتصفية النفس من الشواغل**، فتتجرد فيحصل لها معان تستولي على حواس الجسد، وهذا يحصل كثيراً للناس عندما تصفو نفوسهم من جراء خشوع في صلاة ، أو من جراء ما يحصل لبعض الناس بالرياضة كما يقولون ، وإن كان هذا منهج ليس معتدّ به عند المسلمين الملتزمين، وإنما عند بعض الطوائف الصوفية ولكنه يحصل بالتقوى والعمل الصالح .

لكن السؤال هل يصلح الإلهام مصدراً للمعرفة دائماً ؟

مادام أن الاحتمالات قائمة، أنه قد يكون صحيحاً ، وقد لا يكون صحيحاً، فإنه لا يوثق بما يصدر عنه في غالب الأحوال، فلا يصلح أن يأتي مفكراً إسلامياً ،ويقول: جاءني إلهام كذا وكذا، إذاً لا تقول إلهام، قل هذه فكرة، أما أن تقول إلهام فالإلهام له محاذيره .

- **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** في الفتاوى – يرحمه الله –: " **وهذا الذي ذكرته من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة ، وأنه ليس منهم معصوم يسوغ له أو لغيره إتباع ما يقع في قلبه ، من غير اعتبار لما يقع في الكتاب والسنة**

، **وهذا مما اتفق عليه أولياء الله الصالحون**" هذا الكلام الذي نقوله! ، يعني هذا الإلهام إن اختلف مع الكتاب والسنة فلا قبول له ، وإن اتفق كأنك أخذته من الكتاب والسنة ، أما إذا كان غير معارض وكان أمراً تشريعياً فلا يجوز الأخذ به جملة وتفصيلا؛ **لأنه زيادة على ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله** .

- إلى أن قال :"ويقول الشيخ **أبو سليمان الداراني**: إنه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين (الكتاب والسنة)"- الكتاب والسنة دائماً يجب أن يكون هو المهيمن على المسألة -" ومما يدل على ذلك أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أخبر عن عمر – رضي الله عنه – أنه مُحدث، ومع ذلك كان يصيب في مواطن ويخالف الصواب في مواطن أخرى ، كما جرى منه يوم الحديبية عندما اعترض على قضية الصلح" لكن اجتهاد خاطئ، فعمر على صلاحه، وعلى منزلته العظيمة في الإسلام ليس بالضرورة أن يصيب في كل موقف ، لكن صوابه أكثر من خطئه نظراً إلى أنه قد تجرد.

هذا إذاً المصدر الثالث من مصادر المعرفة للفكر البشري، وقلنا أن لها محاذيرها لكن إذا تمت فهو بشرط عدم مخالفة الكتاب والسنة.

- **المصدر الخامس**[1] : **هو الرؤيا المنامية**.

فالرؤيا معناها : ما يراه الإنسان في منامه، هل تصلح أن تكون مصدراً للمعرفة في الفكر البشري ومنه الفكر الإسلامي؟

إذا كانت من الأنبياء فرؤيا الأنبياء حق ،كما نعرف ، ففي الحديث (رؤيا الأنبياء حق) كرؤيا إبراهيم -عليه السلام- **في ذبح ولده**، لكن الكلام في غير الأنبياء؛ لأنها إذا كانت هذه الرؤيا للأنبياء -عليهم السلام- كانت وحياً ، ودخلنا في الوحي وانتهت، فلا يعتد بكونها رؤيا أو غير رؤيا، لكنها في مرتبة أقل، أعلاها أن يكلم الله سبحانه وتعالى مباشرة ،كما حصل لنبينا عليه الصلاة والسلام في رحلة المعراج ، وكما حصل لموسى -عليه السلام- في صحراء سيناء .

أو عن طريق الملَك أو عن طريق الإلهام أو عن طريق الرؤيا، **فآخرها الرؤيا** فإذا كانت للأنبياء فأصبحت وحياً، لكن الكلام إذا كانت لغير الأنبياء فإنها محل نظر، فقد صح عن النبي –صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (الرؤيا ثلاثة:- رؤيا تسر من الله، ورؤيا تحزن من الشيطان ، ورؤيا مما يحدث الرجل به نفسه في اليقظة) هذه أنواع الرؤى، التي تسر هي من الله تبارك وتعالى يستبشر بها المؤمن، وإن عبرها فلا بأس، والرؤيا التي تحزن هي من الشيطان والأولى ألا تُعبر، والثالثة هي حديث النفس، الإنسان أشغله شيء في نهاره فغالباً في ليله سيرى هذه الأمور، وهي التي ليس لها منهجية معينة، أن تكون طويلة مثلاً، وقد بالغ الناس في هذا الزمن في قضية الرؤى مما هو مشاهد ومعروف.

- **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** يرحمه الله تعالى: " الرؤيا أمثال مضروبة، يضربها الملَك الذي وكله الله بالرؤيا، يستدل الرائي بما ضُرب له مثلاً على نظيره، يعبر عنه إلى شبهة" كما حصل في رؤيا النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه بالبقر الذي يذبح، وذلك لعموم نفعهم الناس، فسرت بعموم نفعهم للناس من قبل النبي عليه الصلاة والسلام
- **وعرَّف ابن حجر** الرؤيا بقوله: " **هي إدراكات علقها الله في قلب العبد على يد ملك أو شيطان**" فإذا كان ملك صارت سارَّة ، ومبشرة ، أو نذيرة أيضاً ، وإذا كانت من شيطان فإنها لا يعتد بها ولا يقع شيء منها وإنما هي من تلاعب الشياطين.
- **وفائدة الرؤيا**: كما يقول **الإمام الشاطبي** –يرحمه الله-: " **وإنما فائدتها البشارة والنذارة خاصة ، وأما استفادة الأحكام فلا** " هو لا يمكن لرؤيا أن تأتي بحكم جديد، إذا كان حكماً موافقاً للكتاب والسنة فنأخذه من الكتاب والسنة، إذا كان

[1] لعل الدكتور يقصد المصدر الرابع وليس الخامس

مخالف فلا يعتبر ولا يعتد به جملة وتفصيلا، ولكنها بشارات ونذارات.

- **ومن المشتهرين بالرؤيا:** في تاريخنا الإسلامي أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- وسعيد بن المسيب، ومحمد ابن سيرين -رحمهما الله تعالى- وهما من التابعين، ولا يزال في عصرنا هذا الكثير ممن يُعبرون عن الرؤى . إذاً نؤكد على أن رؤيا الأنبياء حق فتصبح نوعاً من أنواع الوحي ولكنها أقله ، فرؤيا الأنبياء حق ووحي ، ولهذا أقدم إبراهيم الخليل -عليه السلام- على ذبح ابنه إسماعيل -عليه السلام- بناء على الرؤيا.
- قال **ابن عباس** -رضي الله عنهما-: "**رؤيا الأنبياء حق**" وفي رواية " **رؤيا الأنبياء وحي**"،
- **وقال ابن القيم:** " **رؤيا الأنبياء وحي فإنها معصومة من الشيطان باتفاق الأمة**" يعني إجماع على أن رؤيا الأنبياء حق، ولذلك يقال السر في رؤيا إبراهيم -عليه السلام- !! أنها كانت في منام ، **دلالة على قوة إيمانه** ؛ لأنها لو جاءته مباشرة من خلال خطاب إلهي أو من خلال ملك لما راح يستشير ابنه، ولكن لأنها أتت عن طريق ضعيف فهذا دليل- طبعاً ضعيف بالنسبة لما قبله وإلا هي وحي ولاشك - لكنها ليست في مقام الخطاب الإلهي المباشر، هي آخر أنواع الوحي، فجاءت بهذه الصورة للدلالة على قوة إيمان إبراهيم الخليل -عليه السلام- وإقدامه بنفسه على أن يضحي بابنه ، ولذلك أيضاً راح يستشير ابنه الذي هو أيضاً في قوة إيمان أبيه {افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ} الصافات ١٠٢. **ولتطابق الاحتمال إلى الرؤى** ، فلا تصبح مصدراً تاماً للمعرفة، ثم هي فردية تختص بالشخص المدعي لها وحده، ولا يستطيع أن يقنع غيره بصدق دعواه، ولا سبيل للتحقق من صدقها إلا إذا كانت عملية بعد وقوعها، الناس كما نعرف الآن بالغوا في قضية الرؤى ، وأصبحت لها القنوات والبرامج، ولها أيضاً قضية أن يوضع لها رقم الهاتف المشهور التي عليه رسوم عالية الثمن، كل ذلك استغلال للناس ، المبالغة لا تصح أبداً، نعم تعبير الرؤى منهج شرعي وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا أصبح قال لأصحابه: (من رأى منكم رؤيا) ثم يقص كل من رأى فيُعبرها له النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا المنهج شرعي ، لكن الذي يحصل في مجتمعاتنا اليوم أنها أصبحت تجارة وأصبح الناس يتلاعبون بها ، بل ربما بعضهم كذب بها سواء في رؤياه ، أو حتى في المعبر، نسمع عجباً في هذه القضايا التي لا يجوز التوسع فيها ، **ولذلك نحن حديثنا ليس في قضية الرؤيا، وإنما في قضية هل تصلح مصدراً للمعرفة ؟** هذا هو الكلام ،لا يعتد بها قطعاً ، لتكون مصدراً كاملاً للمعرفة ؛ لأنها كما قلنا حالات شخصية، فردية تقع لبعض الناس، أما أن تكون منهج يقوم عليه حياة مجتمع فذلك أمر غير وارد في مسألة الرؤى، ولذلك يبقى الوحي هو العاصم من مثل تلك المسائل، وبالتالي تحكيم العقل في مثل هذه القضايا التي تقع للناس، إذاً هذه القضية هي الرؤيا، قضية الإلهام و الرؤيا.

[مصادر محل نظر:] هناك قضية أخرى تقرب من هاتين ولاسيما الإلهام، **وهي قضية الذوق أو الكشف** ، أو قضية الفتوحات كما يسمونها، هذه أيضاً **مصطلحات صوفية** وهي تدور على فيضان المعارف على النفس الإنسانية ، بعد تجردها عن المادة عن طريق الاستغراق الروحي، وإطلاعها على ما يتجاوز نطاق المادة ، هذه يسمونها أيضاً قضية كشف وهي قريبة من الإلهام، وربما له وجه من أوجه الرؤى، ولذلك أيضاً هذه لا يعتد بها أبداً ،ولا تصلح مساراً للفكر الإسلامي.

ولذلك الفكر الإسلامي الصوفي ، فكر فيه انحرافات كثيرة من جراء هذه القضايا، قضايا الذوق والكشف والفناء وبقية المصطلحات الصوفية ، نعم هم مسلمون ولكن عندهم أخطاء، ومن ضمنها قضية أن يجعلوا الذوق والكشف مصدراً من مصادر المعرفة.

إذاً الذوق والكشف لا يصلحان أن يكونا مصدراً من مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي ؛ لأنه لا يعتمد على أمور منطقية وإنما هي أشياء ترد على النفس، وفيض من المعارف عليها بعد أن تجرد عن أمور المادة ، ولذلك الاستغراق الروحي

والرياضات الشاقة على البدن من أجل أن يخرج عن نطاق المادة ، فيسمو روحه كما يقولون وتعيش مع الملائكة وبالتالي تفنى في الملأ الأعلى ، **حتى يصلوا إلى مرحلة اليقين (انتهاء التكاليف) ، ومرحلة اليقين التي يستندون إليها قوله تبارك وتعالى:** {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}الحجر ٩٩ ، ولا تفسير لها ، إلا التفسير الذي جاء به نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– **وهو الموت، وأعبد ربك حتى يأتيك الموت،** وهكذا كان حال رسولنا عليه الصلاة والسلام ، أما أن يكون اليقين هو الوصول إلى هذه المرحلة فهذا والعياذ بالله انحراف عن الجادة ، ولا يصلح أن يقوم فكر على هذه القضية ، وإذا قام عليها فكر فهو فكر منحرف فيما يسمى بالفكر الصوفي، الفكر الصوفي ما وافق منه الكتاب والسنة فهو فكر معتد به ، ويؤخذ من الكتاب والسنة، وما خالف الكتاب والسنة ، فهو فكر مرفوض ولذلك لا يصلح أن يكون الذوق والكشف مصدراً من مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي.

يبقى معنا أيضاً مصادر نتركها إلى حلقة أخرى وهي: الحواس ،والحدس والاستمداد عن البشر هذا إن شاء الله سيكون في الحلقة القادمة، أما ما تحدثنا عنه فكان في الحلقة السادسة وهو الوحي ، والعقل، وفي الحلقة السابعة الإلهام والرؤيا والذوق والكشف، ونحن قلنا في المحاضرة السادسة السابقة **أنهما هما المصدران الأساسيان الوحي ومن ثم العقل** المستنير بهدي الوحي هما المصدران يُحكم على بقية المصادر من خلال هذين المصدرين الكبيرين، أما بقية التي تحدثنا عنها والتي سنتحدث عنها إن شاء الله في حلقة قادمة فهذه محل نظر لماذا ؟ لأنها ليست لكل الناس، وفيه ما يغني عنها، ومنها: الإلهام والرؤيا والذوق والكشف والحواس والحدس والاستمداد عن البشر، وسنأخذ إن شاء الله تفصيلات في هذه القضية كثيرة منها ما يتعلق بغير المسلمين ، ومنها ما يتعلق بالمنتسبين إلى الإسلام على قدر قربهم وبعدهم من المنهج ، وقضية الإلهام والرؤيا كما قلنا ، وإن كانت معتبرة بشروطها أن تتوافق مع الكتاب والسنة، **إلا أنها لا تصلح أن تكون منهجاً للفكر،** يكفينا في ذلك الكتاب والسنة ، ودلالة العقل عليهما .

بهذا تنهض الأمة وبهذا تقوم أمورها، أما أن يعتمد على أشياء ليست واضحة المعالم، ليست متسقة لكل الناس، ربما نتائجها تخالف الكتاب والسنة فذلك مما لا يصلح أن تقوم عليه هذه الأمور خصوصاً وأن عندنا الوحي والعقل ، المصدران الأساسيان الذين يعتد بهما، وما قامت الحضارات إلا عليهما، الحضارة الإسلامية قامت على الوحي ومن ثم العقل، والحضارات البشرية أغلبها قامت على العقل، والحضارة المعاصرة قامت على العقل، لكن إذا انفصل العقل عن الوحي هنا تكون المشكلة ،كما هو حال الحضارات المعاصرة ولاسيما الحضارة الغربية التي تهيمن على العالم، أما الحضارة الإسلامية التي كان لها شأن بدءاً من ظهور الرسالة الخاتمة ومروراً بالقرون المفضلة الأولى، ومن ثم عصر الحضارة الكبير في عصر الأمة وهو في القرن الرابع الهجري أو ما يسمى عصر النهضة في الإسلام ، فكله كان يقوم على الوحي ، ومن ثم العقل، ومن قدم العقل على الوحي في بعض المسائل فيحصل له من الضلال بقدر بعده وقربه من مصدرية المعرفة الصحيحة ، ولذلك إذا أردنا للأمة أن تنهض من جديد من كبوتها ، فما علينا إلا تنقية هذا الفكر الإسلامي مما شابه من شوائب ، تتمثل في اعتماد العقل وحده بمعزل عن الوحي ، أو من الأمور التي هي ليست مصدراً كاملاً للمعرفة ، كالإلهام، والرؤى، وكشوفات الصوفية، والحدس، والحواس، والاستمداد عن البشر بمختلف طوائفهم ، سواء كانوا من المسلمين أو من غير المسلمين ، إذاً هذه القضايا التي ذكرناها السبع ، هذه محل نظر ، فلسنا بحاجة إليها كثيراً مادام عندنا الكتاب والسنة والوحي ، أما الإلهام والرؤيا فهي لها وجه قبول لكن لا تصلح أن تكون منهجاً يقوم عليه فكر.

الحلقة (٨)

تابع مصادر المعرفة.

في الحلقات الماضية تعرَّفنا على بعض **مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي** وهي: **الوحي- والعقل- والرؤيا- والإلهام** ، وفي هذه الحلقة نكمل بقية تلك المصادر وهي: **الحواس -والحدس ، والاستمداد عن البشر**، في آخرها.

- **المصدر الخامس: هو الحواس.**

الحواس كلنا درسناها في مرحلة مبكرة من مراحل التعليم العام ، ولا يمكن أن تزيد، وإن زيد عليها حاسة كما في الحدس فهي ليست حاسة بالمعنى المتعارف عليه ، **إنما الحواس خمس وهي: البصر، والسمع، والذوق، واللمس، والشم.** هذه هي الحواس ، **وهي بلا شك مصدر مهم من مصادر المعرفة البشرية ، فما معنى كلمة الحواس؟**

الحواس : جمع وهو في مفرده حاسة ، وتطلق عند العرب **على المشاعر الخمس**، ويقال أحياناً المحسوسات لما يدرك بأحد الحواس التي عددناها قبل قليل .

وهذه الحواس لا شك أنها وسيلة لإدراك المعرفة في العالم المشهود، عالم الشهادة وليس عالم الغيب وإنما عالم الشهادة، فهي إذاً وسيلة لإدراك عالم الطبيعة من حول الإنسان **وهي أدوات يستعين بها العقل على تحصيل المعرفة**، ولذا لو جردت الإدراكات الحسية عن حركة العقل لفقدت قيمتها.

أتباع المذهب المادي يركزون على الحواس وليس عندهم مصدر للمعرفة غير هذه الخمس فيقولون: جميع معارفنا ناشئة عن الإحساسات وهذا صحيح بالنسبة لهم ، أما نحن المسلمين فلا ، وهذا يقودنا إلى الحديث عن مكانة الحواس بين مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي .

إذاً عند غير المسلمين ولاسيما الفكر المادي في الحضارة المعاصرة يركز تركيزاً كلياً على قضية أن المعرفة لا تدرك إلا من خلال هذه الحواس ، وما خرج عنها فلا يعد عندهم مصدراً يعتد به، وإن وجد استثناءات فهذا ولا شك معتبر، لكن الفكر الغربي المعاصر يركز على هذا الجانب ولا يعتد إلا بما تدركه تلك الحواس.

لذلك يقولون : جميع معارفنا ناشئة عن الإحساسات، فما هي مكانة تلك الحواس في الفكر الإسلامي من ناحية مصدرية المعرفة؟ .

لا شك أن هذه الحواس تهيئ المادة الخام الذي يطبِّق عليها العقل مبادئه الأولية ، ليبلغ المعرفة ، فهي ولاشك مهمة لكنها ليست كل شيء ، فما نعرفه عن عالم الغيب الذي تميز به المسلمون، والذي لا يدرك أساساً من خلال الحواس منفردة ! ، **وإنما لابد من مصدر مستقل عنها وهو الوحي** ، والوحي يدرك كما نعرف من خلال البصر قراءة ، أو من خلال السمع سماعاً ، هنا يصبح لهذه الحواس دور، وإن اعتبرنا الشم والذوق واللمس مصدر، لكنه لا يبنى عليها فكر يعتد به أو يهتم به ، سوى الحاستين الأوليين ، وهما السمع والبصر، فالخطاب الإلهي ممكن أن يدرك من خلال السمع، ومن الممكن أيضاً أن يدرك من خلال البصر، فهي إذاً تهيئ المادة – هذه الحواس- تهيئ المادة الخام التي يبلغ بها العقل معرفة هذه الأمور التي جاءت من خارجه ، أما إذا أخذنا المسألة ، ليست في عالم الغيب ، وإنما في عالم الشهادة فلا شك أن هذه الحواس ولاسيما السمع والبصر مصدر من مصادر المعرفة وينطبق عليها ما ينطبق على غيرها، إن كانت هذه المصدرية تتناسب مع الوحي الكريم، تندرج تحت الضوابط الشرعية التي جاء بها الشرع ، فلا بأس؛ أنما يأتي من خلالها معتبرٌ ومعتد به ، وإن خالف الوحي الكريم فلا عبرة بمصدرية المعرفة في هذه الحواس.

إذاً الذي يتميز به المسلمون عن غيرهم أو الفكر الإسلامي عن بقية الأفكار البشرية الأخرى ، هي قضية عالم الغيب، أما عالم الشهادة فبالإمكان إدراك مثل هذه الأمور من خلال تلك الحواس، **ويبقى قبولها أو ردها راجع إلى ضابط الوحي، هل يجيزها أو لا يجيزها** ؟ فإن أجازها فلاشك أنها مصدر من مصادر المعرفة البشرية عموماً والفكر الإسلامي على وجه الخصوص، وإن لم يجزها فلا عبرة بها .

أما عالم الغيب فلا يمكن أن يدرك من خلال هذه الحواس، وإنما يدرك من خلال عالم الغيب الذي للحواس دور فيه من خلال معرفة هذا الوحي من خلال السمع أو البصر، فإذاً هي على وجه العموم قضية الحواس مصدر محدود ، لا يمكن أن يحقق للإنسان معرفة تامة ، وهي إذاً قاصرة عن أن تؤدي معرفة كلية لكل ما يتعلق بعالم الغيب والشهادة ، ولذلك فهي مصدر تبعي، إن وافق الشرع قُبِل، وإن لم يوافق فهو مردود جملة وتفصيلا.

إذاً الحواس كما رأينا هي المصدر الخامس من مصادر المعرفة البشرية ولاشك ، **لكن يبقى هل تصلح مصدراً للفكر الإسلامي؟** هذا هو الذي فصلنا الحديث فيه، فإن كان عالماً مشهوداً فلاشك أنها مصدر معترف به، **لكن ما علاقته بالفكر الإسلامي؟** هو قضية انضباطه مع قضية الوحي ، أما في عالم الغيب فلا يمكن لتلك الحواس أن تصل إلى شيء من ذلك جملة وتفصيلا، إلا ما أطلعنا الغيب عليه، ويمكن للحواس أن تدركه من خلال حاستين مهمتين وهما السمع والبصر، ولذلك كان الخطاب الإلهي دائماً في قضية السمع والبصر متكرر في القرآن الكريم ، **لكن هي قضية العقل، كيف يدرك السمع والبصر؟** هو من خلال العقل، لذلك يغني عنها الحديث عن العقل، لأن العقل لكي يصل إلى معرفة لابد أن يكون بأحد الحواس ، ولاسيما قضية السمع والبصر، هذه هي المصدرية الخامسة من مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي ، **فماذا عن المصدر التالي؟**

- المصدر السادس : الحَدْس . والكلمة ولاشك عربية، ولكن استخداماتها ليست بتلك المتداولة بكثرة، لكنها عموماً هي كلمة عربية نطق بها العرب في سابق وضع اللغة ، **فما هو الحدس في اللغة العربية؟**

الحدس لغة: **الظن والتخمين** ، يحْدس أي: يقول شيئاً برأيه ، إذاً هي مجال للفكر ،تُبنى عليها معرفة لكنها كما قلنا ظن وتخمين ، فإذاً الحدس هو **الظن والتخمين ، وليس العلم الجازم** ، ومن هنا تأتي قضية علاقتها بمصدرية المعرفة، ما دامت تقوم على الظن والتخمين.

واصطلاحا –ومثله الظن-: **سرعة انتقال الذهن من المبادئ إلى المطالب** ، أو بتعريف آخر: **سرعة الانتقال من معلوم إلى مجهول**، يعني المسألة عكسية ، نذهب من المعلوم إلى المجهول أو من المبدأ إلى المطلب ، ومعروف أن المطلب أقل درجة من المبدأ، والمجهول ليس بينه وبين المعلوم مقارنة.

كما يُعرَّف بأنه: **معرفة تنفتح على النفس من غير نظر أو استدلال عقلي**، إذاً بهذا التعريف يكون المعنى اختلف إلى حد ما عند من يرى قضية الحدس، فيختار لها مثل هذا التعريف الذي هو أهم من سابقيه؛ لأنه هنا أصبح أشبه بالإلهام ، فبهذا التعريف نذهب إلى قضية الإلهام فيصبح الحدس بهذا المعنى إلهاماً، إذا كان بهذا المعنى فالحديث ينطبق على الإلهام وهو ما فصل الحديث فيه في المحاضرة الماضية في الحلقة السابعة.

ومن هنا نرى ***أن الحدس صنفان أو صفتان***:

أولها – **أنها معرفة مباشرة دون واسطة** (الإلهام)

الثانية – **أنها خاص بالحادس نفسه لا تتجاوزه ، فلا يمكن البرهنة عليها لأنها أمر خاص**، مادامت بهذا الشكل بالتعريف

الثاني بالصفة الثانية خاصة بالحادس نفسه ، معناها أنها لا تنطبق ، لا يُستطاع البرهنة عليها لتكون منهجاً شمولياً في مصدرية المعرفة ، أما الصفة الأولى فهي معرفة مباشرة دون واسطة ، هذا كما قلنا هو الإلهام بهذا المعنى.

إذاً لها معنيان معنى بمعنى الظن والتخمين ، ومعنى بمعرفة الوصول إلى حقيقة معينة من غير نظر، أو استدلال عقلي بانفتاح النفس، ومن هنا نرى الفلسفات تقوم على هذه القضية، فيصبح عندنا فلسفات غربية تقوم على قضية الحدس ، ومن هنا نرى أيضاً أن بعض أهل الكشف الصوفي ، يميلون إلى هذا الرأي ، أو إلى هذا الجانب الذي هو الإطلاع ، مبدأ الكشف الصوفي يقوم على الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، عن طريق الرياضة الروحية والتهيئة، حتى يكون الإنسان متهيئاً لتلقي المعارف ، فهو غريزي يحصل دون استدلال ، إذا أخذناه بهذا المعنى فهو معنى من معاني الإلهام ، أما إذا أخذناه بمعنى الظن والتخمين فهو في هذا الجانب يصبح علمياً ينطبق عليه هذا المبدأ ، لكنه لا يؤتي معرفة ؛ لأنه يأتي من المبدأ إلى المطلب ومن المعلوم إلى المجهول، وهذا لا يؤدي إلى كبير فائدة ، غير الاقتراب من نظرية الشك التي يتوصل بها إلى قضية المعرفة من خلال هذا الطريق، وهو ليس منهجاً شرعياً متبعا، فهل يصلح الحدس أن يكون مصدراً مستقلاً للمعرفة؟ **الجواب يتضح عندما نقول: أن الحدس شبيه بالغريزة عند الحيوان، فالحيوان يدرك بالغريزة إدراكاً مباشراً من غير أن يتعلم، ودون الحاجة إلى استعمال العقل**، كإدراك الحَمَل -من الخراف- كإدراك الحيوانات الصغيرة وجوب الهرب من الذئب غريزة.

ولذلك فإنه لا يصلح في النهاية أن يكون مصدراً من مصادر المعرفة، وذلك لما يأتي:

لأن الحدس لا يبنى على منطق أو دليل أو استقلال ، فلا يصلح أن يكون مصدراً للمعرفة؛ لأن:

أولاً : مصدره الإنسان وهو قاصر ولاسيما في مسائل الغيب.

ثانياً : أنه فردي خاص بصاحبه ،ولا يمكن التحقق من صدقه بوسائل الاستدلال والتحقيق.

ثالثاً : التناقضات التي يأتي بها الحدَسيون والحقائق لا تتناقض ، فيدل ذلك على بطلان ما أتوا به .

رابعاً : إتيانهم بما يخالف العقل الصريح ،أو بما يخالف النقل الصحيح ، وإذا وصلنا إلى هذه المرحلة فلاشك أنه لا يصبح مصدراً يعتد به في الوصول إلى المعرفة ، سواء كانت مشهودة ، ومن باب أولى في ما يخص عالم الغيب.

إذا هذا هو المصدر السادس من مصادر المعرفة في الفكر البشري رأينا أنها في الفكر الإسلامي لا تصلح أن تكون منهجاً يعتد به إلا في حالات عندما يحصل تداخل بينها وبين قضية الإلهام ، فالحدس وإن كان مصدراً من مصادر الفكر البشري المعاصر ، وربما في القديم عند الماديين وربما عند بعض الصوفية أو المدارس الإشراقية ، فإنه في الفكر الإسلامي لا يصلح أن يكون مصدراً يعتد به جملة وتفصيلا.

الحلقة (٩)

تابع لمصادر المعرفة.

سنتناول إن شاء الله في هذه الحلقة المصدر الأخير من مصادر المعرفة في الفكر البشري.

ذكرنا في الحلقات الثلاث الماضية مجموعة من المصادر في الفكر البشري ، بعضها يصلح أن يكون مصدراً للفكر الإسلامي، وبعضها لا يصلح ، بل إن العماد الأساسي للفكر الإسلامي يقوم على **مصدرين أساسيين:**

الوحي أولاً وبدون منازع ، والمصدر الثاني هو العقل، ثم تأتي بقية المصادر محل نظر وهي قضية الرؤيا ، أو مصدرية الرؤيا، ومصدرية الإلهام، ومصدرية الحواس، ومصدرية الحدس .

المصدر السابع : الاستمداد عن البشر.

إذاً المصدر الأخير من مصادر المعرفة في الفكر البشري " **الاستمداد عن البشر**" ولننظر في هذا المصدر ، هل يصلح أن يكون مصدراً من مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي أو لا يصلح؟

الاستمداد بمعنى : الأخذ أو التلقي عن البشر. ننظر من هو هذا البشر؟ فإن كان رسولاً أو نبياً من أنبياء الله الكرام الذين أرسلهم إلى البشرية ، فلا شك أن هذا هو المصدر الأول من مصادر المعرفة في الفكر البشري عموماً قبل التحريف، وفي الفكر الإسلامي على وجه الخصوص. كل الرسل الكرام عليهم السلام – وهم بشر– يعتد بمصدريتهم بل هي المصدر الأصلي، وهذه المصادر أو هذه الكتب التي جاء بها الأنبياء الكرام من خلال ما نعرفه باسم الوحي، هذه الكتب ضاعت معالمها ولم يبق منها شيء يعتد به، فلم يبق إذاً إلا ما جاء به النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم.

فهذا البشر إن كان رسولاً، فهو فكر أساسي معتد به، **وإن لم يكن رسولاً، فالمسألة فيها نظر**، إذاً نفرق بين البشر، نرى أن المسألة في هذا البشر كثيرة على اختلاف الأديان، والمذاهب الإسلامية، أو المذاهب التي تنتسب إلى الإسلام، وحديثنا لاشك عام ، بما أنه مصدرية المعرفة في الفكر البشري، **وماذا يصلح منها أن يكون مصدراً للفكر الإسلامي؟** فإن كان هذا البشر غير رسول، كما هو الحال في الأديان الأخرى، فإن هذا المصدر لا يعتد به، فيما يسمى برجال السلك الكهنوتي، أو ما يعرف اختصاراً برجال الدين، سواء عند النصارى من باب أولى، أو حتى عند اليهود، أو بقية الأديان التي أيضاً ليس لها أصل سماوي، **فهؤلاء بعد تحريف كتبهم في التوراة ، والإنجيل أصبحت هذه الكتب تقوم أساساً على فكر رجال**، فاختلط فيها الحق بالباطل، ولم يعد التمييز سهلاً ، إلا ما توافق مع شريعتنا ، فهنا نعرف أنه بقية وحي ، فإذا أخذنا قضية النصارى باعتبار أنهم هم المهيمنون الآن على الحضارة المعاصرة ، فماذا عن رجال السلك الكهنوتي؟ من الرهبان والقسس وما إلى ذلك، لنبدأ المسألة من أولها، وإن كان الموضوع ليس موضوع الحديث عن النصرانية، وإنما الحديث فقط عن مصدرية المعرفة في هذا الجانب الذي يستمد منه من خلال البشر.

في النصرانية معلوم أن نبيها الكريم عيسى –عليه السلام– لم يبق من تعاليمه باعتراف المنصفين من النصارى إلا القليل، ولا يستطاع إثبات ذلك، وإنما تنسب إلى رجال وأولهم بولوس ، الذي حرف الإنجيل على ما هو عليه اليوم ، فإذا أخذنا مثلاً أستاذ الديانة المسيحية في جامعة السوربون الدكتور **شارل جنيبر**، وكتابه مترجم إلى العربية، ترجمه الدكتور /**عبد الحليم محمود** شيخ الجامع الأزهر يرحمه الله تعالى ، يثبت جنيبر هذا ، **بأن المسيحية تنتسب إلى بولس، وليس لها علاقة بالمسيح من قريب ولا بعيد** ، فهل يصلح ذلك أن يكون مصدراً للمعرفة ؟ مادام أنه فكر بشري ؟ لا، لقد عبث بولوس هذا بالديانة النصرانية، وألغى عبودية المسيح –عليه السلام– وجعله فيها إله، كما حذف الكثير من البشارات المتعلقة بالنبي القادم وهو محمد –عليه الصلاة والسلام– إضافة إلى أمور كثيرة فيها، لا يتسع المجال للحديث عنها.

كما أن الكاتب الأمريكي **مايكل هارت** الذي ألف كتابه " البيئة الأوائل" وهو مطبوع بأكثر من عنوان في العربية الآن، قدم بولس على المسيح في تأثيره على النصارى، فمن هنا النصرانية الآن مصدرها بشري ، هل هذا يصلح مصدراً للمعرفة ؟ لا، بل إنا نحكم على النصرانية بهذا المعنى أو على الإنجيل بأنه محرف، هذا مجرد مثال، وإلا ذلك كله ينطبق على كافة الأديان المحرفة السماوية منها اليهودية وغير السماوية ،غير ذات الأصل السماوي من باب أولى. إذا تحدثنا عن المذاهب الإسلامية نرى القضية أيضاً تتضح غاية الوضوح.

فبعض المذاهب الإسلامية تستمد من البشر، ربما أكثر من استمدادها من الوحي ممثلاً بالكتاب والسنة، فالفِرَق الباطنية

ومن أشهرها:

الفرق الشيعية تستمد عن الأئمة، فالمصدر الأول للتشريع عندهم -وإن زعموا غير ذلك- **هو الأئمة الإثني عشر، وقولهم مقدم على ما جاء في الكتاب والسنة** وإن تناقض معهما، وهذا منهج قائم عندهم، ما هي حجتهم في ذلك؟

أن هؤلاء معصومون، وأن مصدرية التلقي عندهم كمصدريتها عند الرسول -عليه الصلاة والسلام- فلا تناقض بالنسبة لهم، ولا شك **أنهم في ذلك كاذبون ، فالأئمة لهم مقامهم، ولهم احترامهم؛ لقرابتهم من الرسول -عليه الصلاة والسلام- ولكنهم ليسوا مصدراً مستقلاً للتشريع**، فنعرض ما أُثر عنهم وأكثره مكذوب ! على الكتاب والسنة، فما صح عنهم ، فإنه لا يتناقض مع ما جاء في الكتاب والسنة ، وما كذبوه عليهم فإن فيه نوع من التناقض، فلا يصلح أن يكون مصدراً للمعرفة، حتى وإن زعموا، بل إنهم لا يساوون الولي بالرسول، بل ربما قدموه عليه، مع اعترافهم ضمنياً بالرسالة، فالولي عندهم له منزلة – كما يقولون- لم يصل إليها ملك مقرب ولا نبي مرسل.

- يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** -رحمه الله تعالى- : " **وإنما يخالف في ذلك الغالية من الرافضة، وأشباه الرافضة من الغالية، في بعض المشايخ، فالرافضة تزعم أن الإثني عشر معصومون من الخطأ والذَّنب، ويسمون هذا من أصول دينهم**" ابن تيمية ركز على هذه القضية ولاسيما في كتابه " **منهاج السنة**" لكننا نؤكد أن آل البيت بشر ، ليسوا بمعصومين، لكن لهم منزلة عظيمة في الإسلام وفي الفكر الإسلامي، لكن الضابط في ذلك عرض ما أُثر عنهم على الكتاب والسنة ، فإن وافق فهو محل قبول، وإن لم يوافق فإنه مردود، مع التأكيد على أن أئمتهم هم أئمة أهل السنة والجماعة ، وإن زعموا خلاف ذلك، هذا ما يتعلق بالأئمة.

فماذا عن الأولياء؟ وهذا عند الفرق الصوفية، فيجعلون ما يصدر عن مشايخهم ويسمونهم الأولياء **محل قبول**، وربما كان في ذلك مخالفة للكتاب والسنة ، فيستمدون منهم دون النبي –عليه الصلاة والسلام- وهذا هو عين ما يقوله شيخ الإسلام قبل قليل، يقول: " والغالية في المشايخ يقولون: إن الولي محفوظ والنبي معصوم" وهذه مصطلحات، في كلمة (محفوظ) ليس لها أساساً من الشريعة ، فنعرض ما يقوله هذا الولي، وربما لأكثرهم مكانة واحترام عند المسلمين ، لكن ربما صدر منهم خطأ ؛ لأنهم ليسوا بمعصومين، ولا حتى محفوظين، وإنما هم بشر ممن خلق، فنعرض ما صدر عنهم، إن كان موافقاً للكتاب والسنة ، فيؤخذ به على اعتبار أنه وحي مأخوذ من الكتاب والسنة، وإن كان مخالفاً وأكثره مكذوب عليهم فإنه مردود ، سواء صرح الأتباع بذلك ، أو لم يصرحوا ، فبعض الفرق الصوفية تعتقد أن الشيخ أو الولي لا يخطئ ولا يُذْنب ، حتى بلغ الغلو في الطائفتين من الشيعة ومن الصوفية أن يجعلوا بعض من غلوا فيه في منزلة النبي -صلى الله عليه وسلم- وأفضل ، كما قلنا قبل قليل في الأئمة عند الشيعة ، وإن زاد الأمر جعلوا له نوعاً من الإلهية، عندما يُستنجد بهم، ويستغاث، ويعطون شيئاً من علوم الغيب، ومثلهم كذلك بعض مشايخ الصوفية، كل هذه الأفكار الضالة والبدعية إنما جاءت لأولئك من خلال الفلسفات التي دخلت على الأمة ، سواء كانت فلسفات دينية يهودية ، أو نصرانية، أو كانت فلسفات إشراقية -أتت من الشرق-، أو في العموم الفلسفة اليونانية التي لم يحسن الآخذون منها أخذ ما يفيد ، وإنما للأسف ربما أخذوا الغث والسمين.

إذاً هذا المصدر "قضية الاستمداد عن البشر" نُفَرق بين هذا البشر إن كان رسولاً ! فلاشك أن هذا هو الوحي، وإن كان غير رسول فنعرض ما جاء عنه على الوحي ، فإن وافقه أُخذ به، وإن لم يوافق فهو مردود .

إذن انتهينا الآن من سبعة مصادر ، ومن هنا يتضح لنا ، أن الفكر الإسلامي يستمد مصادره المعرفية من الوحي، وهو الصحيح

، الذي دل عليه العقل الصريح ، مع أخذه ببعض المصادر الأخرى التي لا تعارض بينها وبين الوحي.

فإذاً المدار هو أولاً و آخراً على قضية الوحي الكريم، لماذا ؟ لأنه هو الأساس الذي تبنى عليه المعرفة ، فما وافق العقل أخذ به من المصادر الأخرى ، ما وافق الوحي أخذ به ومن ثم العقل، وما لم يوافق فإنه مردود،

فلماذا جعلنا الوحي هو الأساس؟ هذا ما تحدثنا عنه في المحاضرة التي تخص مصدرية الوحي، لكن ممكن أن نوجز القضية بأمور، ما السبب الذي يجعلنا نعتبر الوحي هو المصدر الأول للمعرفة في الفكر الإسلامي ،وإلا لأصبح بعيداً عن الإسلام؟

أول الأسس : اليقين: لأن هذا الوحي من عند الله العليم الخبير، الأساس الأول في قضية مصدرية الوحي ، يقين كل مسلم أن ما جاء به النبي –عليه الصلاة والسلام- من القرآن الكريم أو مما تحدث به أنه من عند الله ، وهذا ما يُعرف بالكتاب والسنة ، أو القرآن والسنة، قال تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}النجم، فإذا جاء نص القرآن فهو في المقام الأول، وما صح من حديث الرسول – عليه الصلاة والسلام- إذا صح هذا فهذا هو اليقين الذي تبنى عليه أحكام الإسلام، ومن ضمنها ما يخص موضوعنا الآن ، وهي قضية الفكر الإسلامي.

إذاً الأساس الأول: اليقين الجازم بأن هذا الوحي من عند الله تبارك وتعالى لاشك ولا ريب ، هذا هو الذي يعطيه قوته في المصدرية، يقين كل مسلم أن هذا الوحي من الله تبارك وتعالى.

الأساس الثاني: اليقين بصدق المُبلغ: والمبلغ للوحي كل رسول جاء إلى قومه ، وآخرهم محمد –عليه الصلاة والسلام- فمادام أن الرسول محل ثقة ، فإن ما يصدر عنه يعتبر محل يقين ، إذاً الأساس الذي يجعلنا نعتد بالوحي ونجعله المصدر الأول ولا منافس قضية صدق الرسول –عليه الصلاة والسلام- الذي بلغ هذا الوحي وسماه قرآناً ،أو حديثاً.

الأساس الثالث : اليقين بصحة ما دعا إليه: وما فيه من مصالح للعباد في المعاش والمعاد، يعني أن العقل يقبل بكل ما جاء به الوحي الشريف (القرآن الكريم وما صح من سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام) نعتقد اعتقاداً جازماً يقينياً بأن هذا هو الصحيح ؛ لأن فيه مصالح متكاملة لتسيير نظام الحياة الدنيا والآخرة ، وهنا تأتي الفروق العظيمة بين هذا المصدر، وبين غيره ، من المصادر الأخرى التي ليس لها تلك الأساسات.

إذاً ثلاثة أساسات تجعل الوحي في المقام الأول، ١- **اليقين بأنه من عند الله تبارك وتعالى.** ٢- **اليقين بصدق المبلغ** عليه الصلاة والسلام. ٣- **اليقين بصحة ما دعا إليه.**

فما هو الموقف من الوحي في هذه الحالة ؟ **التصديق والقبول بكل ما جاء به، لماذا ؟ ؛ لأنه قطعي الثبوت** بهذا المعنى، إذاً هذه هي المصادر، تحدثنا عنها بشيء من التفصيل مما يتوافق ويتواءم مع برنامج الدراسة في هذا المقرر، مما يدل على أهمية تلك المصدرية المعرفية للفكر البشري عموماً، وللفكر الإسلامي على وجه الخصوص، ولذلك لا يسمى الفكر فكراً إسلامياً متزناً متكاملاً إلا إذا كان قد أخذ بالوحي على اعتبار أنه هو المصدر الأول ، هذه القضية كما قلنا في قضية المصدرية الحديث عنها لا يكاد ينتهي، لكن هذا هو الوقت المتاح.

وبالإمكان الحصول على مصادر لهذه القضية لمن أراد التوسع من عدة أمور من أهمها:

(مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي) للدكتور عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، وكتابه الآخر وهو في هذا الموضوع **(حقيقة الفكر الإسلامي)**، وله أيضاً رسالة لدرجة الماجستير عنوانها (**العقل ومجالاته)** ومن أراد التوسع أكثر وأكثر فليرجع إلى كتب **ابن تيمية** ولاسيما (**درء تعارض العقل والنقل)** أو كتابه (**منهاج السنة)**. وبذلك نكون قد انتهينا من مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي.بالمصدر السابع من مصادر المعرفة في الفكر البشري.

الحلقة (١٠)

هذه الحلقة وما بعدها تتحدث عن الأصول العقدية في الفكر الإسلامي .

فما هو مفهوم الأصول لتقريبها اصطلاحيا ؟

الأصول : **هي الأسس** ،أصل الشيء أساسه ،وأساس الشيء أصله ،وممكن أن نعبر عنها بالأصول أو الأسس .

الأسس في اللغة : **جمع أساس** مشتق من مادة : ألف، سين، سين ،**أَسَّسَ ، التي تدل على الأصل** ، الأسس تدل على الأصول ،جمع أساس، مشتق من مادة أَسَّسَ التي تدل على الأصل ، فالأساسُ هو أصل كل شيء ومبدأه ، يقال أَسَّ وأَسَّسَ البناء وضع أَسَاسه والأُسس قاعدة البناء ، التي تقوم عليها ، هذا من ناحية التعريف اللغوي . فإذن إذا قلنا الأصول العقدية ،أو الأسس العقدية التي يقوم عليها الفكر الإسلامي.

فهنا هي التي يركن إليها ويستند إليها هذا الفكر، فالفكر الإسلامي إذا يقوم على هذه الأصول التي هي أساسات ،ويتحدد مساره في جوانب حركته .

هذا الأساس العقدي -أي أن الفكر الإسلامي يقوم على أسس وأصول عقدية - منح الفكر الإسلامي مقاما مميزا كتميز الإسلام ، فمادام أن الإسلام متميز ، فالفكر تبع له ، فيختص أيضا بهذه الخاصية وهي قضية التميز فجميع الأفكار الأخرى لا يمكن أن تحضي بهذه الخاصية ، وهي قضية أن قيام الفكر الإسلامي على العقيدة يجعله مميزا ، **مما يمنح النفس الطمأنينة ، وعلو الدرجة في الصحة** . لماذا هذا اليقين بأن الفكر الإسلامي لا يقارن بالأفكار الأخرى؟ لارتكانه وارتكازه وقيامه على أساس عظيم وأصل ركين وهو قضية العقيدة ، فما دام أن الله هو عالم الغيب والشهادة المهيمن والمحيط بكل شيء ، و الذي أطلع هذا الفكر على شيء من هذه الأمور، مما تستقيم به حياته في دنياه ومن ثم أخراه ؛ فلابد أن يكون هذا الفكر إذا فكراً مميزا.

فالمعرفة الكلية للوجود ، والكون ،والإنسان ،والحياة بما يلائم الفطرة الإنسانية الأصيلة ، هي التي تبعث الثقة في المعرفة الجزئية ،أو في المعارف الجزئية . والفكر يقوم على هذا المنهج (منهجية العقيدة المستندة إلي الكتاب والسنة) ، وهذا ما يفسر قلق نظريات الأفكار البشرية ، فأصحابها يُصابون بالحيرة والاضطراب الفكري ، وهذا ما انتهى إليه كبار الباحثين والفلاسفة قديما وحديثاً ، حتى من انتسب إلى الإسلام وأخذ بشيء من تلك الأفكار ربما سمعنا عنهم شيئا من ذلك .

- **فسقراط وهو فيلسوف كبير** من فلاسفة اليونان، يقول عند وفاته:" **الذي أعرفه أنني لا أعرف شيئا**".

هذا اعتراف صريح بعد سعي طويل وراء الفكر ، هو في الواقع لا يعرف شيئا!! ، مادام أنه لا يعرف الأصل الذي من أجله أُوجد الإنسان ، وهو قضية عالم الغيب ،أو مآل الإنسان .

في العصر الحديث من مشاهير الفلاسفة البريطانيين :

- برتراند رسل Bertrand Russell ، وصاحب النظرية النسبية إنشتاين Albert Einstein، كلهم روي عنهم شيء من هذه الأمور التي تبين حيرتهم وضلالهم ؛ لأن ما جمعوه من معلومات عن هذا الكون ، لم يستطع أن يُقدم لهم عنه ، إلا لغزاً مقفلاً يستعصي على الحل لماذا ؟ **لأن هذا خارج نطاق العقل البشري ، وهو ما اعتمدوه فضلّوا** .

الحل إذا لا يكون إلا من خلال العقيدة الإسلامية لفك ألغاز و رموز هذه المعطيات العلمية ، وهذا ليس خاصا بما رويناه

عن من لا ينتسب إلي الإسلام ، بل كلنا قرأنا في مجال العقائد أن بعض الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام روي عنهم شيء من ذلك .

- مثل قول: الرازي : نهاية إقدام العقول عِقـــال .... وآخر سعي العالمين ضـــلال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا .. سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

فإذاً الفكر البشري إذا قام على معزل من الوحي فلابد أن يصاب بشيء من هذه الضلالات ، أما إذا ارتكز على العقيدة فهنا تكون النجاة ، فالفكر البشري إذا بهذا المعنى لا يمكن أن يعطي إجابات لكثير من الأسئلة التي تتردد في الذهن البشري ، ولاسيما فيما يتعلق بكنه الأشياء المشاهدة فضلا عن ما يتعلق بعالم الغيب فالله تبارك وتعالى قد أثبت لغير المسلمين أن عندهم علما ، لكنه علم دنيوي لا يوصل إلى الدار الآخرة ، فنفى عنهم العلم الحقيقي ، وأثبت لهم العلم الدنيوي ونفى عنهم العلم الأخروي في سورة الروم في الآيتين السادسة والسابعة يقول المولى تبارك وتعالى : {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦)} فنفى عنهم العلم لكن، **أي علم ذلك المنفي ؟ هو علم الدار الآخرة أو علم الغيب** { يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) } فأثبت لهم العلم الدنيوي لكنه ليس العلم الحقيقي. فالعبرة بالعلم الموصِل إلى الآخرة وهذا ما غفلوا عنه ، فنفى عنهم العلم الحقيقي ، ليس معنى كلامنا هذا أن في ذلك تزهيد لعلوم الدنيا ! لا، لكن يشترط أن يقدَّم عليها علوم الآخرة ، التي توصل إلي علوم الدنيا من باب أولى ، فالعبرة كما قلنا بارتكاز هذا الفكر على أمور العقيدة ،التي توصل إلي الدار الآخرة ، أما إذا أرتكز على علوم البشر على علوم أرضية فهنا تكون المشكلة وهذا ما يدعونا إلي الحديث التفصيلي عن قضية الأصول ،أو الأسس .

فما هي الأصول التي يقوم عليها الفكر الإسلامي؟.

لا شك أن بعض قضايا الأصول العقدية في الإسلام ، تقوم عليها بشكل أو بآخر قضية هذا الفكر الذي نسميه إسلامياً "**الفكر الإسلامي**" ، **فهذه الأصول كثيرة ممكن أن نوجزها بمجموعة منها :**

❖ **أولها : قضية الوجود ،**

الوجود في الإسلام وجودان ، وجود غيبي ، ووجود شهودي أو كما عبر عنه القرآن {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ }الرعد٩ ،أو كما هو في المصطلح : عالَم الغيب ، وعالَم الشهادة هذا هو مسماه العربي والقرآني .

أما عند الفلاسفة ولاسيما المتقدمون في الفلسفة اليونانية القديمة يسمونه **الميتافيزيقيا :يعني الغيب** ، و **الفيزيقيا : العالم المشهود** (المحسوس) ، والعرب يأخذون بهذا التقسيم الحديث ، **يسمونه عالم ما وراء الطبيعة وعالم الطبيعة** ، إذاً مسميات كثيرة : العالم المشهود ، واسمه الفلسفي القديم الفيزيقيا ، واسمه الفلسفي الحديث عالم الطبيعة .

والقسم الآخر الغيبي: ويسميه الفلاسفة الأقدمون الميتافيزيقيا ، وعند المحْدَثين يسمونه عالم ما وراء الطبيعة .

هذه تسميات مسألة الوجود عند المسلمين وعند غيرهم ، الخلاف ليس على العالم المشهود! فذلك صفحة تركها الإسلام للفكر البشري ، يبحث فيها ويُنقب ويخطئ ، وفي الخطأ طريق الصواب ، لا مشكلة كبيرة في هذا الجانب

إلا أن هذا الفكر المشهود لابد أيضا أن يُضبط بضوابط الشريعة ، فما خالف فيها الشريعة فلا يعتد به ، لكنه كما قلنا متروك للإنسان يجتهد فيه يخطئ ويصيب ، أما العالم الغيبي فذلك أمرٌ محظور على الفكر البشري من خلال العقل، أن يصل فيه إلي نتيجة ! ، ولذلك ضلَّت الفلسفة لأنها حكَّمت العقل في أمور خارج نطاقها ، ومن هنا ضل فلاسفة اليونان ، فوصلوا إلي قضية تعدد الآلهة بناء على أفكارهم.

نعم العقل الصريح الفطري يعْرف الله تبارك وتعالى ، معرفة عامة لكن ، **هل يستطيع أن يعرف تفصيلات في هذا الجانب ؟ لا** ، لا يمكن إدراكه إلا من خلال الوحي ، ولذلك كما قلنا ضلَّت الفلسفة ولاسيما القديمة لأنها حكَّمت العقل في هذه الأمور فنتج عن ذلك ضلال عقدي كبير ، وصلوا فيه إلى تعدد الآلهة حتى أوصل بعض الباحثين عدد الآلهة عند اليونان خمسة وعشرين ألف إله ، **فلكل شيء عندهم له إله** ، إله الخير وإله الشر، إله الإخصاب وإله الجمال ، إله السهل إله الجبل إله الرياضة إله القوة وهلم جرا من هذه الآلهة المزعومة التي لم تغن عنهم فتيلاً .

كذلك الحال في الفلسفة المادية المعاصرة عندما اعتمدت العقل ، ونحَّت جانب الغيب ، حتى الغيب الذي يزعمونه غيباً بالنسبة إلى دياناتهم لم يعتدوا به ، وإن كان لا يغنيهم فتيلاً، لكنهم للأسف عمموا التجربة أو عمموا الحكم حتى على الإسلام ، فلما نفوا ما عندهم على أساس أسطورية الدين ، أيضاً جعلوا الإسلام أسطورة ، في أفكارهم وفي أطروحاتهم فالفكر الفلسفي المعاصر ، لا يهتم بالجانب الغيبي كحال أسلافه في الفكر الفلسفي اليوناني الذين اهتموا به ، لكنهم ضلَّوا ؛ لأنهم أخذوه عن طريق العقل أما أولئك فلم يأخذوا في الغالب بشيء فكانت النتيجة ذلك الضلال **حتى المسيحية ، أو أسمها الصحيح النصرانية ، أو حتى اليهودية عندما أُدخل العقل في النص الإلهي رأينا الضلال ، فوصل النصارى إلي قضية التثليث ، لماذا ؟** لأنهم أدخلوا عقولهم بأشياء لا يمكن للعقل البشري أن يكون له فيها نصيب .

أما الفلسفة المادية المعاصرة فإنها تناست الجانب الغيبي وإن لم تنكره جملة وتفصيلاً ، إلا أنهم لا يهتمون به ولا يلقون له بالاً ويسمون ذلك وهْمٌ وخداع ، وإن كان بعض الفلسفات المثالية حتى في الغرب ترى أن الوجود هو وجود ما وراء المادة ، أما الوجود المادي فلا يتجاوز أن يكون ضلالاً وأشباح ؛ لكن هل أخذوا هذه الأمور التي سموها ما وراء المادة .. أخذوها من مصدر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ لا، **إنما أخذوها من عقولهم** ،فالضلال حاصلا ،

من لم يبحثها جملة وتفصيلاً كحال الماديين ..فهذا ضل، ومن بحثها بمعزل عن الوحي فقد ضل سواء من الفلاسفة الأقدمين أو من الفلاسفة المعاصرين المثاليين.

أما الإسلام فإنه يجمع بينهما ولا يفرق ، ولا بد من الصلة بينهما ؛ لأن الاعتراف بأحدهما يؤدي إلى الاعتراف بالآخر ، هذا هو التوازن الذي جاء به الإسلام في هذه القضية .

إذن الأساس الأول : هو قضية الوجود ، التي يعتبرها الإسلام وجودان وجود غيبي ووجود شهودي ، بينما الفلسفات الأخرى أو الأفكار الأخرى لم تستطع أن توازين بين هاذين الأمرين ، سواء أعتدَّت بالجانب الغيبي أو لم تعتد به فالنتيجة هي الضلال.

❖ **الأصل الثاني** : **الإيمان بالله** .

الفكر الإسلامي يقوم على أصل عقدي كبير وهو قضية الإيمان بالله ، والتي أشرنا إليها قبل قليل في مسألة الوجود الغيبي ، فلا شك أن الوجود الغيبي يتمثل بما نعرفه في علم العقيدة بما يسمى بأركان الإيمان ، وهي ستة :الإيمان بالله ،وملائكته، وكتبه ورسله ،و بالقدر خيره وشره وباليوم الآخر ، **وأولها الإيمان بالله** تبارك وتعالى فهذا الأصلُ ، أصلٌ ركين من الأصول العقدية الكبرى التي يقوم عليها الفكر الإسلامي ، وإلا لو لم يهتم بهذا الجانب ، لما سميناه فكراً إسلامياً ولأصبح فكراً بشرياً خالصا ، أما الفكر الإسلامي فإنه يقوم على هذا الأصل العظيم وهو قضية الإيمان بالله تبارك وتعالى إيمان بذات الله وصفاته، وما له من قداسة وجلال وكمال وأولية وقيُّوميةٍ تفرد بها عما سواه ، من مخلوقاته التي وهبها سبحانه وجودها وحياتها بما فيها الإنسان فهو تبارك وتعالى الذي أوجد المخلوقات وأمدها بأسباب البقاء بعد

إيجادها ، وهو الذي يحييها ويفنيها ..هذا يسمى توحيد الربوبية .

هل يكتفي الإسلام بأن يقوم الفكر البشري على توحيد الربوبية فقط ؟ لا، كثير من الأفكار تقوم على توحيد الربوبية قلت منه أو استكثرت ، لكن في الإسلام لا يكتفي بهذا ، **وإنما لا بد من توحيد الألوهية ،وهي الاعتراف بان هذا الرب تبارك وتعالى هو المعبود وحده لا سواه** ، فالفكر الإسلامي إذن يقوم على قضية كمال التوحيد لله تبارك وتعالى في ربوبيته وإلوهيته وأسمائه وصفاته، هذا ما يقوم عليه الفكر الإسلامي.

أما الفكر الآخر المنكر لوجود الله فإنه يخبِط في معرفة هذه الأساسات ، وحتى إن آمن بوجود الله فإنه مادام بمعزل عن الوحي فلا يمكن أن يصل فيه إلى نتيجة يُعتد بها .

فإذاً الفكر الإسلامي غايته العبودية لله تبارك وتعالى ، لأن الإنسان ما خلق في هذه الحياة إلا لهذا الغرض { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) } سورة الذاريات ، فحياة الإنسان المسلم كلها لله { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) } سورة الأنعام ، فإذاً المسلم الحقيقي لا بد أن يكون كذلك ، إذا أردنا فكراً ننافس به الآخرين فلا بد أن يقوم على هذا المبدأ مبدأ العبودية المطلقة لله تبارك وتعالى وهذا هو ما يتميز به الفكر الإسلامي دون غيره من الأفكار البشرية الأخرى ، سواءً كانت في القديم أوفي الحديث سواءً كان لها أصلا سماوياً ثم حرفت ، أو كانت أدياناً أرضية لا يُعرف لها علاقة بأن تكون ذات أصل في يوم من الأيام .

فهذه العبودية لله تبارك وتعالى تعني الاعتراف لله تبارك وتعالى ، بأنه مالك الحقيقة كلها، إن شاء أطلع البشر عليها وهو ما أطلعه لهم سبحانه وتعالى من خلال الوحي بما يحقق نظاماً حياتياً متكاملاً يوصلهم إلى الله ، والدار الآخرة ، هذا هو المرتكز الأساس الذي يقوم عليه الفكر الإسلامي، بينما كما رأينا الأفكار الأخرى ليست بذاك .

إذن هذا هو الحديث الذي لا يزال متواصل في **قضية الأصول العقدية التي يقوم عليها الفكر الإسلامي** وذكرنا منها ، الوجود الغيبي والشهودي ثم الإيمان بالله تبارك وتعالى.

الحلقة (١١)

الحديث في هذه الحلقة عن بقية **الأصول العقدية في الفكر الإسلامي**.

كنا انتهينا في الحلقة الماضية من أصلين :

الأول: الوجود وقلنا فيه، هو **الوجود الغيبي، و الوجود الشهودي**.

والأصل الثاني: **هو الإيمان بالله تبارك وتعالى**، وأن **هاذين الأصلين مرتبطين مع بعض**؛ لأن الوجود الغيبي يؤدي إلى الإيمان بالله تبارك وتعالى، فإذا كان الوجود الغيبي يتمثل في أركان الإيمان، وأولها الإيمان بالله، فهذا هو الأصل الثاني الذي بنينا عليه الأصول العقدية في الفكر الإسلامي.

❖ **الأصل الثالث** : **قضية النبوة**:

أركان الإيمان : الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، الكتب والرسل تمثل الركن الثالث والرابع في أركان الإيمان، فالأنبياء ومعهم ما جاءوا به من الوحي الشريف تمثل أصلاً عقدياً كبيراً.

قد يقال لماذا لم يذكر الملائكة من ضمن الأصول العقدية ؟ لا شك أن الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان

الإيمان، لكنها داخلة في عالم الغيب الذي قلناه وهو الوجود الغيبي والوجود الشهودي، والفكر الإسلامي أحياناً يتحدث عن هذه القضية عندما يتعلق الأمر بأركان الإيمان، فهي أصل ولا شك، لكنها ليست بالحاجة الماسة كبقية الأصول الأخرى التي تقوم عليها الحياة، حياة الإنسان في هذا الكون ، لكن الإيمان بها واجب ؛ لأنها ركن لا يقوم الدين إلا على أركان ، أركان إيمان وأركان إسلام، فالإيمان بالملائكة ولا شك أيضاً من تلك الأصول لكن داخل في عالم الغيب ، ثم إن النبوات من وسائل إدراكها الملائكة، عندما يرسل الله الملك -عليه السلام- بالوحي، وهي من أعلى أنواع الوحي، فأعلاها الكلام المباشر بين الله تبارك وتعالى وبين رسله، ثم يأتي عن طريق الملك، فالملائكة إذاً من ضمنهم، أما النبوة فإنها ركن ملازم للإنسان في حياته؛ لأنهم مصدر التلقي، فإذاً النبوات لاشك أنها مصدر من مصادر الفكر البشري، لكن المشكلة في النبوات القديمة أن تعاليمهم ضاعت مع تحريف كتبهم ولاسيما عيسى -عليه السلام- في كتابه الإنجيل، وموسى -عليه السلام- في كتابه التوراة، وكذلك حال بقية الأنبياء الكرام عليهم السلام، ولم يبقى من النبوات على حقيقتها إلا نبوة الرسول الخاتم عليه الصلاة والسلام الذي جاء بهذا الدين العظيم، **فإذاً النبوة ركن من أركان الإيمان وأصل من أصول العقيدة في الفكر الإسلامي**، فإذاً الفكر الإسلامي يقوم على الأصل الثالث بعد قضية الوجود وهي الإيمان بعالم الغيب والشهادة، وقضية الإيمان بالله تبارك وتعالى، تأتي بعد ذلك النبوة، وهي الأصل العقدي الثالث من الأصول التي يقوم عليها الفكر الإسلامي، وهي من عالم الغيب، وإن كانت عالماً مشهوداً لمن عاصر النبي -عليه الصلاة والسلام- ممن رأوه ، ولاسيما من المسلمين الذين عرفوا بمصطلح الصحابة ، أما بالنسبة لنا فهو غيب عليه الصلاة والسلام، ونؤمن به ؛ لأن هذا من أركان الإيمان، لكن هذا كما قلنا ينطبق على جميع رسالات الأنبياء بالنسبة لأقوامهم، وبالنسبة لنا نحن الآن نؤمن بالأنبياء جملة وتفصيلا، من عرفنا منهم ومن لم نعرف{ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ }(٨٧)سورة غافر، لكن الرسول الذي أُمرنا بإتباعه هو محمد -عليه الصلاة والسلام-، فهؤلاء الأنبياء الكرام وآخرهم محمد -صلى الله عليه وسلم- جاء بالعبودية المطلقة لله تبارك وتعالى، فلا يمكن معرفة الغيب إلا من خلال هذا الرسول الكريم، من خلال ما سميناه **الوحي في مصادر المعرفة**، وهما كتاب القرآن الكريم والسنة النبوية، أو ما صح من السنة النبوية وهو: كل فعلٍ أو قول أو تقرير صدر عن النبي -عليه الصلاة والسلام- . إذا صح ذلك عن النبي فإن هذا يؤدي مطلق العبودية الكاملة لله تبارك وتعالى، فهؤلاء الأنبياء وآخرهم محمد اصطفاهم من البشر فيؤخذ عنهم، **لا لبشريتهم وإنما لاتصالهم بالله** تبارك وتعالى من خلال الوحي .

ومن هنا إذاً فالفكر الإسلامي يقوم على هذا المبدأ، فإذاً هو أصل عقدي قضية الإيمان بصدق هذا المُبلغ عليه الصلاة والسلام، فالإيمان بهذا الجانب يقوم عليه الفكر الإسلامي، وإذا بُني فكرٌ على غير هذا المبدأ فإن الانحراف والضلال سيكون مصيره، بهذا الإيمان بهذا النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- يرتكز فكر المسلم على مصدر للعلم، تختلف عن مصادر البشرية، فله قيمة أولية، وموجهه بالنسبة لتلك المصادر مما يضفي على فكر المسلم تكاملاً في ميادين العلم، واتزاناً في الحركة، مما يفتقده الفكر غير الإسلامي، حيث يمثل النقص، والاضطراب سمته الثابتة في حركته في كافة ميادين العلم، سواء كانت عالم ما وراء الطبيعة الذي سميناه عالم الغيب، أو في عالم الطبيعية الذي نسميه العالم الشهودي، أو كل ما يتعلق بهذا المسلم من قيم وأخلاق وسلوك تقوم عليها حياته.

إذاً **الأصل الثالث** من أصول العقيدة الكبرى التي يقوم عليها الفكر الإسلامي هي قضية النبوة.

❖ الأصل الرابع: **هو قضية الحياة**:

حديث الإسلام عن مسائل الحياة، الفكر الإسلامي يتبناها؛ لأن الفكر هو مجال الأفكار في هذه الحياة، **فالحياة في الإسلام نوعان:**

- حياة مباشرة للإنسان، وهي حياته الدنيا التي يمارس فيها كافة شؤونه، ومنها قضية حركته الآنية ولاسيما ما يخص موضوعنا وهي قضية التفكير، هذه حياة الإنسان، حياة يعيشها قبل مماته.

- ثم تأتي بعد ذلك حياة أخرى، وهي غيبية بالنسبة للإنسان إلى الآن، وهذا سيكشف عنه يوم القيامة، أما الآن فإن حياة الإنسان غيبية بدءاً من الوفاة، فعندما يموت الإنسان فإن عالم الغيب قد دخل، وتسمى **القيامة الصغرى**، حياة لا يعرف كُنهها وإن كان يعيش بيننا في المقابر، أما الأمر الجازم في قضية الغيبية فهو قضية البعث والنشور، فهذه أيضا نؤمن بها لكنها بالنسبة لنا غيب، ومن ثَم قضية الحساب ثُم الجزاء، أما إلى جنة -نسأل الله الكريم من فضله-، وأما إلى نار -نستعيذ بالله منها-.

فالحياة الأولى هي مجال حركته، التي يعيشها الإنسان هي مجال الحركة، **لكن الثانية هي الأصل؛ لأنها مقره النهائي** الذي سيُقدم عليه حتماً، وسيكون وضعه فيها على ضوء استعداده لها في هذه الحياة، إذاً المسألة في قضية الحياة أنها لله تبارك وتعالى، سواء كان حياً، أو ميتاً، أو بعثاً بعد موته للحياة الأخرى المستديمة، وهذا ما يكرر في الآية الكريمة {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)} سورة الأنعام، فحياة المسلم كلها لله، إن كان حياً أو ميتاً ومن ثم الجزاء، فالفكر الإسلامي إذاً يختلف عن غيره من هذه الأفكار في هذه القضية العقدية، فإيمان المسلم بها يجعل فكره مستقراً على أساسه الفطري السليم، الذي تنسجم معه التصورات النهائية للوجود الإنساني في هذه الحياة بالموت، ومن ثم البعث والنشور، ومن أجمع الآيات في هذا المعنى ما ورد في أواخر سورة آل عمران من قول المولى تبارك وتعالى { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) } آل عمران، إذا حديث شامل لأمور الدين والدنيا، الحياة الدنيوية والحياة الأخروية، هذا هو ما قلناه سابقاً في قضية عالم الغيب وعالم الشهادة، فالشعور بالمسؤولية في ذلك اليوم العظيم الذي سيجمع له الأولون والآخرون، يحقق للفكر قيمة في حركته؛ لأنه يجعل المسلم مستحضراً غايته دائماً، واعياً بضرورة حسبان فكره لتلك المسؤولية الكبرى حيث يقول سبحانه: {لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا }٤٤ التوبة .

لماذا ؟ لأنهم يشعرون أن هذه الحياة حياة ممر، والعبرة بحياة المقر، التي أفضل وسائل الوصول إليها هي قضية الجهاد، {مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }البقرة٦٢، هذه هي حياة المسلم، حياة يعيشها لكي يتزود إلى الدار الآخرة، فهذه الحياة هي حياة ممر، أما العبور فسيكون للدار الآخرة، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

إذاً هذا هو الأصل الرابع من الأصول العقدية التي يقوم عليها الفكر الإسلامي .

الأصل العقدي الخامس (الأخير): **هو قضية الكون بعمومه** أو ما يسمى الآن عالم الطبيعة:

ذكرنا **أولاً**: الوجود الثاني: الإيمان بالله، الثالث: النبوة، الرابع: الحياة، والخامس: هو الكون.

الفكر الإسلامي له أصل مهم يستند إليه، وهو قضية عقدية في مسألة التعامل مع هذا الكون ومعرفته، فالكون على عظمته التي تفُوق خلق الإنسان لقول المولى تبارك وتعالى:{لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ } (٥٧) سورة غافر، هذا

الكون على عظمته والإنسان جرم صغير فيه ! ، في العقيدة الإسلامية ليس أزلياً !!، وإنما هو موجود مخلوق، مثله مثل هذا الإنسان، والخالق الوحيد هو الله تبارك وتعالى، خلقه سبحانه بعلمه وحكمته، وجعل له حركة في هذا الكون وفق إرادته سبحانه وتعالى، فهي إرادة وحكمه تسير على سُنن، ونواميس، وقواميس لا تنتقض، ولو حصل فيها شيء من الخلل، لحصلت إشكالات في هذا الكون ربما تنتهي بزواله، فهذا الكون إذن أجراه الله سبحانه وتعالى على قوانين وأسباب ونواميس وسنن لا تتغير أبداً فحركة الكون، وموجوداته خلقها الله بحيث يقترن بعضها ببعض اقتراناً خاصاً، وتتلاحق بحيث يستتبع بعضها بعضاً، وتسير على نسق مطرد منتظم في مثل قول الله تبارك وتعالى:{ الٓمٓ (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) }، قوله سبحانه، آية أخرى { أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ } (٦٠) سورة النمل، سنة ثابتة لا تتغير من زمن إلى زمن، قوله سبحانه { وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ } (٢٢) سورة الحجر، أيضا هذه سنة،

{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ } (٤٣) النور، قوله سبحانه:

{ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) }سورة يس، لكن قد يحصل أن الله سبحانه وتعالى يخرق هذه السنن، والنواميس لحكمة يعلمها، **إما آية لنبي معجزة، وإما تخويفاً من الله لعباده**، كما يحصل في قضايا الكسوف، والخسوف وما إلى ذلك، فهذه الأمور تسير على هذا النسق العظيم في هذه المسألة، من أنها تجري وفق أسس ثابتة لا تحيد، لكن الله سبحانه وتعالى سيخرقها في يوم من الأيام عندما يُؤذنُ بانتهاء هذه الحياة الدنيا، فهذا الأمر إذا هو متعلق بالله أولاً و آخرا، فهذه الأمور التي يجريها الله سبحانه وتعالى في هذا الكون تقوم على السببية .

لكن من مُوجِد هذا السبب؟

هو الله تبارك وتعالى، فهو خالق السبب وسببيتهوالمسبب عنه ، وهذا ما يخالف به الفكر الإسلامي الأفكار الأخرى التي تجعل السبب هو القوة الفاعلة الوحيدة والمُوجدة للمسبب، منكرة تدبير الله تبارك وتعالى .

كما يخالف تلك الاتجاهات التي تنكر الأسباب وترى أن حركة الكون حركة عشوائية أو فعل إلهي مباشر دون ارتباط في مجاله بين الأسباب والمسببات .

بعض الناس يقول الكون صدفة، وما يجري فيه كله صُدف في صُدف، بعض الأفكار المادية المعاصرة، لا تنكر فعل الله تبارك وتعالى لكنها لا تجعلها مبنية على أسباب، **بينما الفكر الإسلامي يقوم على قضية السبب والمسبب، وأن الله مُوجد الجميع في هذا الكون الذي سُخر لخدمة الإنسان**، فعالم الطبيعة هو ميدان نشاط الإنسان في حياته، فهو مُسخر له، قابل لتأثيره، مهيأ لانتفاعه به، يقول تبارك وتعالى: { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ } (١٣) سورة الجاثية ، فهذه قضية التعامل مع الكون يجب أن يتعامل الإنسان معه وفق ضوابط الشريعة الإسلامية {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا } (٥٦) سورة الأعراف ، وما يجري الآن في هذا الكون من قبل البشر هو في الواقع إفساد له، بمعزل عن تعاليم الشريعة الإسلامية؛ ولذلك الآن تتداعى البشرية في مؤتمرات متعددة لقضية التعامل الأمثل مع الكون بعد أن أفسدوا شيئاً منه من خلال عدم التعامل السليم معه ، بينما الإسلام المسألة منظمة لا يخرج الإنسان عن إرادة الله سبحانه وتعالى فيه ، إذاً هذه هي الأصول هي التي تضبط مسار الفكر عن الانحراف ، لماذا؟ لأنه يقوم على عقيدة، بعكس المذاهب الأخرى.

إذا هذه الأصول كما قلنا هي خمسة :

أولها قضية الوجود، الثاني الإيمان بالله تبارك وتعالى، الثالث النبوة، الرابع الحياة، الخامس الكون .

من أراد التوسع في هذه القضية فعندنا كتابان في هذه المسألة ، أولها كتاب "حقيقة الفكر الإسلامي" للدكتور عبد الرحمن الزنيدي، وكتاب "قضايا معاصرة" للدكتور حلمي صابر، وكتاب "الإسلام والفكر العلمي"،

الحلقة (١٢)

موضوع الحلقة: **خصائص الفكر الإسلامي.**

الفكر الإسلامي كالإسلام فهو فرع منه ، يتميز بخصائص عظيمة ، ما نقوله في خصائص الإسلام ، وما نقوله في خصائص الثقافة الإسلامية ، وما نقوله في خصائص الفكر الإسلامي تقريباً ينبع من مصدر واحد ، والكلام فيها متحد ، إلا أننا بالإمكان أن نضيف ما يخص هذه القضية دون قضية أخرى ، فإذا كان الحديث مثلاً عن خصائص الفكر سنأتي بالكلام العام الذي ينطبق على الإسلام وما يخص قضية الفكر ، إذا كان في الثقافة سنتكلم عن الإسلام عموماً وما يخص قضية الثقافة. فالموضوع هو في الإسلام أولاً وأخرا والفكر جزء منه.

الخصائص من حيث الوضع اللغوي: هي كلمة عربية نطق بها العرب.

فالخصائص: جمع خصيصة وهي مشتقة من مادة : خ ص ص (خصص) التي تدل على التفرد، وهي من اختصاص، والخصوص، والخاص الذي يخص الشيء وحده ولا ينفك عنه، متفرد به، لا يشاركه فيه غيره. وقد أجاز مجمع اللغة العربية المصري أن تكون خاصية مفرداً للخصائص، فنقول خصيصة، أو خاصية تؤدي نفس المعنى.

أن الفكر الإسلامي يتفرد بخصوصيات لا يشاركه فيها بقية الأفكار البشرية. هذا من حيث أصل وضع اللغة.

فما هي أبرز تلك الخصائص التي يتميز بها الإسلام ؟ تتميز بها الثقافة الإسلامية؟ يتميز بها الفكر الإسلامي ؟.

الخصائص كثيرة بالإمكان أن نجمع بعضها مع بعض وهي كالتالية:

الربانية – الشمولية – الوضوح – التميز – الموضوعية - الهدفية السامية – الوسطية – الاتزان- العالمية ، يعني تسع . أول تلك الخصائص:

- **أولها :قضية الربانية :**

وهي أجمعها وأشملها وهي الخاصية الأولى التي ينفرد بها الإسلام في كل شؤونه عن بقية الأديان والمذاهب الأخرى.

قضية الربانية قضية أيضاً من حيث وضع اللغة ربما استعمالها ليس بذلك الكثير،ككلمة الإلهية، وإن كانت تغني عنها، لكن المصطلح الثقافي اعتبر كلمة ربانية منهجاً شاملاً.

فالربانية: وهي الخاصية الأولى من خصائص الفكر الإسلامي **مصدر صناعي ، منسوب إلى الرب تبارك وتعالى** ، زيدت فيه الألف والنون على غير قياس ، هي رب فقيل رباني ومعناها :

الانتساب إلى الله تبارك وتعالى. وقد جاءت هذه اللفظة في القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) } سورة آل عمران.

الفكر الإسلامي إذاً فكر رباني من ناحيتين:

من ناحية المصدر، ومن ناحية الغاية.

فهو رباني المصدر؛ لأنه يقوم على أساس الوحي الكريم، وأول مصادر الفكر الإسلامي هو الوحي وتأتي بقية المصادر تبع له ، **فهو الميزان. فإذاً يتميز الفكر الإسلامي**، بأنه رباني المصدر، أي يقوم على أساس، أو على مصدرية الوحي الكريم الذي جاء به

الرسول – صلى الله عليه وسلم– من ربه، ممثلاً فيما يُعرف بالقرآن والسنة.

وبهذه الخاصية يتفرد الفكر الإسلامي بين الأفكار الأخرى في العالم التي تفتقد إلى هذا المصدر ، وبها تقوم ذاتيته ، حيث يرتكز على أساس غير **متأثر بالزمان والمكان، والبيئة، والحضارات** على اختلاف جهاتها. فهذه خاصية أنه رباني الأصل، فهو محفوظ بحفظ الله له تبارك وتعالى إلى قيام الساعة { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) } سورة الحجر، فهو مصدر صحيح ومحفوظ إلى قيام الساعة، وهذا يجعله سليماً من الاضطراب، والتناقض؛ **لأنه إلهي خالص سواءً كان القرآن، أو السنة** وفيهما يقول سبحانه{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) } والذكر يشمل الكتاب والسنة، كما أن قوله تعالى:{ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) } سورة النجم ، يدخل فيه أيضاً السُنة من باب أولى.

بينما الأديان الأخرى كُلُ كُتُبها أرضية حتى اليهودية و النصرانية ممثلة في التوراة والإنجيل، نعم فيها بقايا وحي لكن ضاعت المعالم وأختلط فيها الحق والباطل، لا يشارك القرآن والسنة في هذه الخاصية (**خاصية الربانية**) أي نِحلة أو مذهب أو دين آخر.

أيضاً مما يميز الربانية بعْد المصدر أنها ربانية الغاية.

ما هي الغاية من هذا المصدر الرباني؟

هو لقيادة البشرية إلى حياة سعيدة تتوجه نحو الله تبارك وتعالى في الدنيا والآخرة. فهذه الربانية غايتها بعد الأصل المتكامل أن تكون لله رب العالمين :{ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) }

فهذه الربانية لها غاية أن توصل المرء إلى الله تبارك وتعالى بعد تنظيم شؤون حياته، فكل شيء له حكم في الإسلام ، إما أن يضع أصوله وتفريعاته كالعبادات ، ولا يترك مجال للفكر البشري ، وإما أن يضع أصوله ويترك تفريعاته لذلك العقل حسب ظروف الزمان والمكان، فكل شيء محصون في هذا الإسلام.

إذاً المصدر الذي يقوم عليه الربانية أن مصدريته إلهية، وأن غايته أيضاً إلهية؛ لتنظيم حياة الإنسان في الدنيا، والدنيا مزرعة الآخرة، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

هذا ما يتعلق بالخاصية الأولى من خصائص الفكر الإسلامي وهي قضية الربانية ، ونركز فيها على قضية أن الفكر الإسلامي فكر رباني في مصدريته، وفي غايته.

إذاً العبرة في الغاية، بينما إذا نظرنا إلى الأديان الأخرى، أو المذاهب الأخرى فغالبها أرضي، لا يمتُ إلى عالم الآخرة بصلة في الغالب، وإن تحدث عنها فحديث اضطراب؛ لأن الوحي بمعزل عن تلك الأديان جملة كما في الأديان الأرضية، فليس لها علاقة بالوحي جملة وتفصيلاً، فهي أديان أرضية حتى وإن اعتقد بعضها بشيء من الخلود وما إلى ذلك فإنها أمور ليست واضحة المعالم، كما هو في الإسلام ، ثم هي لا توصل إلى الله ؛ لأن العبور لا يكون إلى بشهادة التوحيد.

أما الدينان السابقان عن الإسلام وهما اليهودية والنصرانية فنعرف أن اليهودية وإن حاولت أن تنظم شيء من أمور الدنيا إلى أنها في الآخرة ليس لها نصيب؛ لأن التوراة على طولها بصفحات تتعدى الألف، ليس فيها حديث عن الآخرة جملة وتفصيلاً، وليس فيها كلمة واحدة عن جنة أو نار، وهذا بلا شك أنه بعد التحريف، وما ورد من أن بعض اليهود يؤمنون باليوم الآخر كما في قول الله تعالى:{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ }، أو قولهم { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى }(١١) سورة البقرة ، فهذه طوائف كانت تاريخية، ولكن الكلام على الموجودون حالياً ليس للدار

الآخرة نصيب في منهج حياتهم أو في تفكيرهم.

والتوراة منذ تحريفها قبل ظهور الإسلام بأكثر من ألف سنة ليس فيها كلمة واحدة عن الجنة أو النار.

أما النصرانية، فإن الإنجيل فيها يتحدث عن الجنة والنار، ويعتقدون أنهم هم الفائزون بذلك، وغيرهم إلى النار، لكن إذا نظرنا إلى واقع حياتهم فالمسألة ليست واضحة المعالم، **فكيف يُحصل على الجنة من غير عمل**، فهم وثنيون ؛ لأنهم يقولون جميعاً بقضية التثليث، فليس لهم في الآخر من نصيب، فمنهجهم هذا الذي يعتمدون عليه وإن كان فكراً مادياً ولكن بعضهم من الطوائف المتدينة عنده فكر مسيحي، أو نصراني هذا لا يعتد به ؛ لأنه يقوم على منهج غير صحيح وهو دين منسوخ وباطل.

بينما هذا التفرد لا يكون إلا للإسلام، أو الفكر الإسلامي، فالخاصية الأولى هي خاصية الربانية في مصدريتها وفي غايتها هذا تفرد إسلامي، في كل ما يتعلق بالإسلام، ومن ضمنه موضوع الفكر الإسلامي.

♦ **الخاصية الثانية**: هي **الشمولية**.

وهي مبنية على الخاصية الأولى، فخاصية الربانية أساس عظيم، تقوم عليه بقية الخصائص الأخرى، والتي من أشهرها وأهمها الشمولية، أي أن الفكر الإسلامي فكر شامل، والمقصود به التكامل، وهي خاصية عظمى من خواص الفكر الإسلامي.

ومن أبرز سمات هذه الخاصية في مجال الفكر :

أ : **الشمولية الموضوعية**، حيث لم يحصر الإسلام الفكر في ميدان واحد، وإنما للفكر أن يُبحر في كافة شئون الحياة التي تهم المسلم في دنياه، وفي أُخراه، بينما الأفكار الأخرى ربما ليست لها هذه الخاصية.

- فالمباحث الميتافيزيقية هي التي حصر الفلاسفة أنفسهم بها.

- المباحث اللاهوتية هي التي انحصر بها الفكر المسيحي قروناً من الزمان.

- المباحث المادية التي يحصر الوضعيون والماديون المعاصرون أنفسهم فيها. أي يركزون على جانب واحد، - الميتافيزيقيا تعني ما وراء الطبيعة أو هو عالم الغيب- فالمباحث الميتافيزيقية يهتم بها الفلاسفة فقط ، واللاهوتية يهتم بها المتدينون النصارى ، والمادية يهتم بها الوضعيون والماديون ، وهم عماد الفكر الغربي المعاصر ، أو عماد الحضارة المعاصرة.

بينما الإسلام وجه فكر المسلم لطلب الحقيقة التي تقودها حياته ، ويُؤَمن بها مصِيره ، في جميع الميادين التي يحتاج إليها.

هذا هو القسم الأول من الشمولية وهو الشمولية الموضوعية.

ب : **الشمولية في مصدرية المعرفة** : فالإسلام لا يحصر المعرفة في مصدر واحد، كما قلنا سابقاً العقل عند العقلانيين، والحس عند الحسيين، والكشف عند الإشراقيين ، لا! الإسلام يأخذ من كل مصدر مفيد، لكن الوحي يبقى في المقام الأول وهو الحاكم على غيره، ثم يأخذ بالعقل، ثم يأخذ مثلاً بالرؤيا، يأخذ بالإلهام، لكن كل ذلك وفق ميزان الوحي الشريف. من خلال التجارب يصل إلى معارف متنوعة.

إذاً المجال صفحة مفتوحة بالنسبة للفكر الإسلامي، لماذا ؟ لأنه شمولي. فالإسلام وجه المسلم إلى التلقي من كل مصدر يؤدي إلى معرفة صحيحة عقلاً وحساً، ونقلاً ولاسيما قضية النقل.

ج- **القسم الثالث الشمولية المنهجية**: فالغالب في الاتجاهات الوضعية أحادية النظرة في قضية المنهج.

فالعقلانيون والقدماء كانوا يحصرون سبيل العلم في المنطق الصوري، ونظرية التعقل عند أفلاطون في قضايا الفكر وفي

المباحث الميتافيزيقية -أي المباحث الغيبية-، ويركزون اهتمامهم على هذا المنهج فقط.

ونعرف أن المنهج الصوري نقده الإمام **ابن تيمية** في الرد على المنطقيين، وفي الكتاب العظيم "**درء تعارض العقل مع النقل**"، كما نقده الكثير من الفلاسفة المُسمين بالفلاسفة المسلمين،ككتاب "**تهافت الفلاسفة**".

وكذلك التجريبيون المعاصرون وخاصة القائمون على الفلسفة الوضعية أو ما نسميه بالوضعيين، حصروا المنهجية في طرائق البحث التجريبي، فلا يعتقدون منهجاً للوصول إلى المعرفة، إلا من خلال المنهج التجريبي الذي يُدرك بأحد من الحواس الخمس التي ذكرناها (السمع والبصر والشم والذوق واللمس) ما عدا ذلك لا يؤمنون به ، وبالتالي ينكرون الغيبيات.

أما الفكر الإسلامي فإنه يقوم على تعدد المناهج التي أشرنا إليها سابقاً (الاستدلالي، والاستقرائي، الاسترادي، التجريبي)، كل المناهج لا بأس **بشرط أن تكون منضبطة بضوابط الشريعة**.

إذاً الفكر الإسلامي يقوم في منهجيته الشمولية على تعدد المناهج وفق ميادين الفكر، وقدرة العقل البشري على الحركة في أوديتها في مجال المباحث الغيبية والتشريعية والنفسية و الطبيعية وغيرها من المجالات التي هي مجال للنظر ، والاستدلال لتمييز العقل البشري عن غيره .

هذا ما يتعلق بقضية الشمولية، وهي الخاصية الثانية من خصائص الفكر الإسلامي بعد الربانية.

- **الخاصية الثالثة : الوضوح.**

أي أن الفكر الإسلامي يقوم على خاصية عظيمة **تتميز بالوضوح**.

فالإسلام هو دين الله للناس جميعاً، للأميين والمتعلمين، ولذا كان أفضل سماته وأبرز سمات الفكر الإسلامي الوضوح ، ودخوله تحت الطاقة البشرية فهماً وتطبيقاً ؛ لأن الفكر الإسلامي قائم على الإسلام أي على الكتاب والسنة، فقد استمد وضوحه من ذلك الوضوح الظاهر من الكتاب والسنة، فكان في وضوحه قريباً إلى الفطرة السوية، خلافاً لأفكار أخرى تمتاز بالإبهام والانغلاق، أو مُنافرة الفطرة الإنسانية، أو المثالية التي تتجاوز الطبيعة الإنسانية.

ومن أبرز جوانب الوضوح في الفكر الإسلامي :

- ✓ **تحديد مصطلحاته:**

الفكر الإسلامي قائم على اللغة العربية التي تمتاز أيضاً بقضية المصطلحات المحددة.

فاللغة العربية من أجمل اللغات العالم في القديم والحديث، التي فيها قضية وضوح المصطلحات، وعدم التداخل بينها، فما وضَعَ العرب كلمة إلا ولها مغزىً يختلف عن مغزى كلمة أخرى، وهي قضية الترادف في اللغة.

هل هي موجودة أو غير موجودة ! موضوع خلاف، ولكن الأصح أنه ليس مترادف في اللغة العربية.

فهي إذاً لغة منضبطة، ترتد فيها المعاني اللفظية إلى معناً جامعٍ في الغالب ، فيتسق بعضها مع بعض ، خلافاً لعامة الفكر البشري، الذي تتطور فيه المصطلحات فتتعدد، وقد تتناقض أحياناً في المعنى واللفظ واحد، فمثلاً الوجودية بصفتها مذهباً فلسفياً تقع على معنيين متناقضين ، عند بعضهم: اندفاع الإنسان نحو العمل الإنساني ، وعند غيرهم: تحصل الوجود الحقيقي في الوجود الإنساني مجرداً من وجود الإله.

هكذا المعنى متناقض جملة وتفصيلاً.

هذا لا يوجد في اللغة العربية التي هي أساس الوضوح، وليس معنى ذلك أن كل اللغات ليست كذلك؟ لا . بل اللغات الإسلامية نظراً إلى أنها تنضبط بضوابط الشريعة، فإنها ربما تؤدي شيءً من هذا الوضوح، لكن حديثنا نحن باللغة العربية

فالحديث منصب عليها، فهي وعاء القرآن الكريم والسنة النبوية أي أنها وعاء الوحي. إذاً المسألة فيها قضية تبرير الأفكار.

✓ **قضية العملية:**

فهو فكر عملي حركته ترتبط بالحياة البشرية العملية، سواءً في **الجانب العقدي أو العبادي** أو **الأخلاقي أو المادي** ، فكل ما يتعلق بعمل المسلم كله عمل واضح، ليس فيه لبس ولا غموض فيأتي ذلك وينطبق على الفكر الإسلامي فيكون أيضاً فكر عملي واضح.

✓ **الفطرية:**

حيث يقوم على أساس من الكتاب والسنة ملائم لمبادئ فطرة الإنسان الأصيلة، خلافاً للأفكار الأخرى التي هي مثالية، أو خيالية لا تنسجم مع الفطرة السليمة.

✓ **فكر إيماني:**

فالوضوح يأتي من أنه فكر إيماني للقلب، والعاطفة في اعتبار حركته؛ لأن القلب هو مبعث الإرادة المحرّكة للعمل الذي هو غاية الفكر ، وعليه يملأ القلب طمأنينة بما يقنع به العقل.

هذه أبرز جوانب الوضوح فهو دين واضح وفكره واضح؛ لأنه يقوم على جوانب مهمة تحديد المصطلحات ، عمليته ، فطريته ، إيمانيته.

هذا ما يتعلق بثلاثة خاصيات من خصائص الفكر الإسلامي التي تحدثنا عنها وهي الربانية والشمولية والوضوح.

الحلقة (١٣)

تحدثنا في الحلقة السابقة **عن ثلاث من خصائص الفكر الإسلامي.**

وهي **الربانية، والشمولية، والوضوح**، ونواصل الحديث في بقية تلك الخصائص.

♦ **الخاصية الرابعة: التميز.**

الفكر الإسلامي فكر متميز كما هو حال الإسلام ، كما أن الإسلام متميز في كل شيء فأن ما يتفرع عنه؛ ومن ضمنه الفكر الإسلامي أيضا فكر مميز ومتميز، لا يمكن أن تبهت شخصيته بمؤثرات خارجية ، أو أن يذوب في أتون الفكر الأممي.

وأساس هذا التميز هو ما ذكرناه في الخاصية الأولى وهي قضية الربانية ، فالأساس الرباني الذي يقوم عليه هو الوحي الكريم، فهذا التميز جاء من قضية الوحي، فالموضوع إذاً مترابط.

التميز جاء للفكر الإسلامي من الإسلام نفسه، الذي يقوم على الوحي الإلهي الذي يعلو به فوق الفكر البشري المخالف

- لأنه يرتكز على حقائق مطلقة الصدق، لا تتغير بتغير الزمان والمكان.

فهذا التميز، إنما يأتي من الوحي الذي يُجيب على كل ما يهم المسلم في أمور دينه ودنياه..لماذا؟

لأنها تُغنيه عن الحاجة إلى استمداد مقومات، أو معارف أخرى من آخرين.

لكن هذا لا يمنع من الاستفادة مما عند الآخرين، مما لا يتعارض مع الوحي الإلهي، أما العلم المادي البحت؛ فإنه صنعة محايدة، وقابلة لتوجيه أي فكر من الأفكار اتساقا أو اعتسافا، لماذا؟ لأنه ليس له ميزان يوزن به وهي قضية الوحي الشريف، الذي تميز به الفكر الإسلامي.

فالتميز إذن يأتي من الوحي الشريف.

هذا التميز جاء بتحديد مجالات المعرفة، ومصادرها، وفي هدفه، وحركته، وموقفه من الفكر الأجنبي الوافد.

وكانت النتيجة أن الفكر الإسلامي بث روح هذا التميز في الأمة التي تحمله في كل شؤون حياتها، منطلقا من الأساس الذي يقوم عليه **وهو الوحي الكريم، حيث وجه الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى هذا التميز فكراً وعملا**، حين قال -صلى الله عليه وسلم-:(لا يكن أحدكم إمعة، يقول أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وأن أساءوا أساءت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وأن أساءوا ألا تظلموا) .

هكذا هو المنهج الإسلامي، يحمل أتباعه أن يكونوا ذوي فكر متميز.

ولذلك نقول إن من أهم الخصائص التي يقوم عليها ا لفكر الإسلامي هي قضية التميز، التي جاءت من الوحي الشريف، أو من الخاصية الأولى وهي قضية الربانية، هذا التميز ليس فرعياً، وإنما هو عام في الإسلام كله، وما تفرع عنه في كافة المعارف الإسلامية، تميز بُحث فيه أبحاث جميلة جداً؛ للدلالة على أهمية هذه القضية التي ينفرد بها الإسلام، ولاسيما في فكره عن بقية الأفكار الأخرى وحديثنا هو الفكر الإسلامي. هذا ما يتعلق بالخاصية الرابعة.

الخاصية الخامسة : التزام الموضوعية .

ماذا يراد بالموضوعية ؟ الموضوعية في البحث، أو في النظر: **هي ما يقابل الذاتية.**

وتتحقق بالتجرد من قِبل الباحث أو المفكر من غرائزه، وأحاسيسه، و انفعالاته، وأخيلته الذاتية، والتنزه من الأهواء والمصالح الشخصية، التي تحول دون الوصول إلى الحقيقة.

هذه أعظم الخصائص التي يتميز بها الفكر الإسلامي قضية الموضوعية والأنصاف بتجرد لا يحمله هوى، ولا انفعال، ولا غرض، ومن ثم يدرس الأشياء في واقعها، سواء كانت هذه الأشياء أموراً عقلية أو نقلية أو واقعية.

أما الذاتية التي تُنافي الموضوعية، فهي أساس العمل الفني والأدبي غالبا؛ فإنها تحكيم الانفعالات، والأخيلة في الموضوع المتناول، كالشعر مثلا يقوم على الفخر والهَيمان في أودية عبَّر عنها المولى سبحانه بقوله{ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا}

الذاتية هذه لا تصلح للفكر نهائياً، ولاسيما الفكر الإسلامي، لكن الحاصل أن الأفكار الأخرى غير الفكر الإسلامي، ربما تنجرف هذا الانجراف؛ لعدم وجود الحكم والميزان وهو الوحي الشريف.

فالموضوعية أذاً لا تعني التجرد الكامل للإنسان الباحث كل ما لديه،كالمنهج الشكي الذي يبدأ فيه الباحث من الصفر- منهج الشك- **هذا المنهج لا يصلح أن يكون منهجاً شرعياً ؛ لأنه يبدأ بتجرد زائد عن الحد ، يجعل حتى المُسَلَمات الإلهية مرفوضة.**

ولذلك **المنهج الشكي ليس منهجاً شرعياً**، فلا نريد التجرد المطلق الذي ينفي القطْعيات ، ولا نريد التجرد غير المنضبط، إنما هو التجرد الذي يقوم على آفاق من الكتاب والسنة ، ذلك أن القضايا العلمية التي وصل إليها الباحث نفسه قبل ذلك، أو تلقاها من غيره خالية عن ذلك، والمطلوب اعتبارها والبناء عليها في أثناء البحث والتفكير، هذا هو الذي يقوم عليها المنهج الشكي ، أما في الإسلام فغير ذلك، **في أوربا** في نهضتها المعاصرة جعل بعض المفكرين المعادين للكنيسة، الموضوعية معادلة للبعد عن الله من قِبل الباحث أو المفكر في أثناء بحثه، أو في أثناء تفكيره.

وذلك بأن يبحث الموضوع بذاته، مجرداً من أي صلة له بالله، وأن يتجرد من التصور الديني عن ذلك.

وهذا أمر مرفوض في الشريعة ؛ لأن هناك مسلمات لا يجوز المساس بها، أو النظر فيها ، بل النظر من خلالها.

ولذلك كان هذا هو منهج الإسلام في قضية تفرده في أفكاره . فموضوعية المسلم ، تتمثل في تجرد الباحث والمفكر لله وحده في كل من سواه وما سواه؛ لأنها تنفيذ لأمره سبحانه في قوله:{ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦) }

إذاً التفكر هو لله. فالموضوعية قيمة كبرى في الفكر، ترفعه إلى المستوى الإنساني العالمي، هذا هو معنى أن الفكر الإسلامي فكر عالمي؛ لأنه يرتكز على الموضوعية، وخاصة في ميادين الدراسات الاستشراقية بحكم أنها تعني أمماً مخالفة للدارسين لغات، وأديان، وثقافات.

فالباحثين في الدراسات الاستشراقية من الغربيين نرى أنهم يدعون الموضوعية، لكنهم لا يمارسونها فعلياً في الكثير من أطروحاتهم ؛ لاختلاف اللغة والدين والثقافة والبيئات والعادات والتقاليد ، فتصبح الأحكام ليست موضوعية بهذا المعنى.

أما الفكر الإسلامي فأنه يقوم على هذه الموضوعية التي تتمثل أو ترجع إلى أمور عديدة من أبرزها:

أولاً - يقوم على مبادئ الفطرة الإنسانية، وحقائق الوحي في كافة المبادئ التي توصل إلى المعرفة. فمبادئ الفطرة وحقائق الوحي أسس موضوعية، وصادقة. ففيها حصانة للفكر في حركته من الارتكاس نحو الأنانية الذاتية .

وبخلاف الفكر الإسلامي، هناك الفكر الآخر غير الإسلامي الذي يفتقد إلى هذا الأساس؛ لبعده عن الوحي الإلهي، أو إعراضه عنه، أو فساد فطرته، أو بهوتها بسبب ما تغشاه من أفكار غير منطقية ، ولبعدها عن الوحي الإلهي الذي يجلو صداها .

الثاني (من الركائز التي تتضح فيها الموضوعية): أن الفكر الإسلامي يسعى إلى الحقيقة ليأخذها؛ لأنه متعبد بطلب الحق، والقول به، وتطبيقه، وذلك غايته .

أما الفكر الآخر فرغم إدعاء النزاهة، وطرح الأفكار السابقة والمسبقة حول موضوع ما، هكذا يدعون!! إلا أن عموم هذا الفكر قد حدد أهدافه سلفاً ، وسيقت النتائج لتحقيقها وقد اصطبغت بحوثه بالتصورات والأعراف والأساطير، بل أحياناً بالأحقاد التي يحملها رجاله ، وهذا كما قلنا أوضح ما يكون في الدراسات الاستشراقية، وهو ما عبر عنها أحدهم لما كان مستشرقاً بعد أن هداه الله إلى الإسلام وهو :

- الدكتور محمد أسد النمساوي حيث يقول: "إن ابرز المستشرقين جعلوا من أنفسهم فريسة للتحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام، وإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتبعها كثير من المستشرقين، تذكرنا بواقع دواوين التفتيش، أي أن تلك الطريقة لم يتفق لها أبداً أن نظرت في القرائن التاريخية بتجرد، وليس نتيجة ذلك سوى صورة مشوهة للإسلام، وللأمور الإسلامية تواجهنا في جميع ما كتبه مستشرقوا أوروبا "

هكذا واحد منهم في يوم من الأيام ويعرفهم ويخبرهم، يذكر أن قومه أصحاب الأفكار الأخرى، ليس عندهم من الموضوعية شيء، حتى وأن ادعوا خلافه.

الجانب الثالث: من قضية وضوح الفكر الإسلامي، أن الفكر الإسلامي يسير وفق ضوابط حددتها الشريعة ، وسيأتي ذكرها لاحقا.

- الخاصية السادسة : الهدفية السامية.

يعني أن الفكر الإسلامي يقوم على هدفٍ سامٍ.

فما هي هذه الهدفية؟

الفكر الإسلامي ليس تائهاً كأنماط الفكر التي لا غاية محددة لها ، وإنما الإسلام له غاية وهي الوصول إلى الله سبحانه وتعالى{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) } بينما الأفكار الأخرى تقوم من أجل الفكر للفكر أو العلم للعلم التي تحصل غايتها في النفع الدنيوي العاجل شخصياً أو اجتماعياً.

أما الفكر الإسلامي فلا ، فمع اعتباره للمصالح إلا أن مصلحة الإنسان الأخروية مقدمة على مصالحه الدنيا ، والدنيا مزرعة للآخرة.

إذاً الهدف الأسمى الذي يقوم عليه الفكر الإسلامي هي قضية العبودية لله تبارك وتعالى ، ولما كانت هذه العبادة لا تتمثل في الفكر وحده ، وإن كان المقدم فيها العبادة ، كان لخصائص الفكر الإسلامي ارتباطه بالعمل العبادي لله وحده يقول سبحانه وتعالى: { كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) } **وقد استعاذ** الرسول -صلى الله عليه وسلم- (من علمٍ لا ينفع)، ولهذا كان الفكر والعمل مرتبطين في الإسلام، وبينهما تلازم، قامت حياة المسلمون الأوائل عليه ، فالمفكر هو القائد، والحاكم ، والعامل في وقت واحد، وبهذا التلازم بين الفكر والعمل ازدهرا معا ، لماذا؟

لأن الفكر الإسلامي يحمل هدفاً سامياً، وهو التجرد لله تبارك وتعالى والوصول إليه.

فإذاً هو هدف لا يماثله فيه أهداف أخرى، فهو فكر واقعي؛ لأن صاحبه يعيش هذا الواقع ويوجهه، ومن ثم يتنامى الفكر الإسلامي وتزداد حيويته؛ لأن حلوله جاءت موافقة لواقع الناس العملي، ومرتقية به نحو الكمال، ونحو الأهداف التي يسعى الإسلام إلى تحقيقها؛ ولهذا يجري العمل في ضوء الفكر المستنير بنور الشريعة ، فيتسدد الفكر في حركته، ويربطه بالأهداف الصحيحة ، ويحفظ له سلامة توجهه، ولكن هذا التلازم للأسف عند المسلمين ضعُف بعد ضعف حياتهم في كافة حياتهم ، ومنها الجانب العقدي ، فبخفوت الجانب العقدي خفتت كافة الجوانب الأخرى في حياة المسلمين ، ومن ضمنها قضية الأفكار ، فحصل تدهور في قضية الفكر والعمل معاً.

لماذا إذن تدهور الفكر؟

لأنه ابتعد عن مواقع فاعليته، ودوافع إثراءه، وحينما حلق رجاله في الأفكار النظرية، والقضايا التجريبية البعيدة عن الحياة العملية، رأينا تدهور تلك الأفكار؛ لأنه فقد توجيهه الذي يوجه به الأمة ، ويرفع بها نحو معالي الكمال ، فافتقد تلك الخاصية. والعمل بإذن الله جار على تصحيح تلك الأوضاع من قِبل كافة أبناء الأمة المخلصين، من علمائها، ومفكريها من أجل أن يعود هذا الهدف يؤتي ثماره ، كما كان في سابق الأيام ، والأمل في الله قوي ، أن تعود الأمة إلى سابق عهدها، وقيادتها للبشرية الحائرة في سائر جوانب الحياة.

- **الخاصية السابعة: هي قضية الوسطية.**

فمعلوم أن الإسلام دين وسطي، الوسطية مصطلح متكرر ومتداول، وكثير من الإشكالات التي تقع في حياة المسلمين هي لغياب هذا المنهج الذي جاء به الإسلام { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ}

فالوسطية إذاً هي التوازن الذي يقوم عليه الإسلام عموماً، والفكر الإسلامي تبعاً له، لماذا؟

لأنه يستند على أسس عقدية متوازنة ، وعلى مناهج فكرية متوازنة ، لا إفراط فيها ولا تفريط ، ولا مغالاة ولا تقصير ، هكذا هو الإسلام، وهكذا هو الفكر الإسلامي ، **وكلنا نعرف أن الإسلام لما ظهر كان دينا لا خلاف عليه بين أتباعه ،** ثم فيما بعد حصل الخلاف بين أفراد الأمة للأسف، حتى في صدر الإسلام ، فانشقت الأمة الواحدة لتصبح ثلاث فرق: **الشيعة**

والخوارج ، وأصحاب الحق وصفوا أنفسهم بعد الإسلام **بأهل السنة والجماعة** ، ثم استمر الأمر على منهج سليم في أهل السنة حتى بدأت الخلافات تدب بينهم في مجال العقائد ، فانشقت أيضاً هذه الأمة الإسلامية السنية إلى عدة فرق فرأينا: المعتزلة والأشاعرة و الجهمية(القدرية) والجبرية والمرجئة وهلم جرا من تلك الأفكار التي اختلفت حول موضوعات معينة، فأصبح لزاما أن يحدد أصحاب المنهج الحق. فعندنا (الإسلام-السنة-السلف).

ومن هنا خرج مصطلح السلفي لتحديد أنفسهم من بقية الأفكار الضالة ، الفكر الإسلامي يقوم على هذه المنهجية - قضية الوسطية- ففي **مجال العقيدة يقوم الفكر على أساسين متوازيين:**

أولهما: الإيمان بعالم الغيب.

وثانيهما:الإيمان بعالم الشهادة.

وهذا الإيمان بشقيه يتلاءم مع فطرة الإنسان التي تريد الركون إلى قوة عظيمة غيبية تستمد منها العون، وتجد في صلتها بها الأمن والطمأنينة، العقيدة الإسلامية كما شرحنا ذلك في قضية الأصول العقدية التي يقوم عليها الفكر الإسلامي في قضية الوجود **يقوم على مبدأين:**

١-عالم غيبي ٢-عالم شهودي

وهذا هو مجال العقيدة، وهذه هي الوسطية، أنه يوازن بين أمور الدنيا وأمور الآخرة، بين العالم الغيبي و الشهودي.

وفي مجال المعرفة الفكرية، نرى الوسطية واضحة، حيث يقف الفكر الإسلامي موقفاً وسطا متوازناً بين من يمجدون العقل، ويعدونه المصدر الوحيد لمعرفة حقائق الوجود، وبين من ينكرون وظيفته في تلك المعرفة، أو يُهملونها على أقل تقدير، فبعض الفرق تُهمش العقل، ومن هنا حصل الركود الإسلامي.

وبعضها **يمجده، كالأفكار الفلسفية، أو أفكار الحضارة الغربية المعاصرة** التي الآن هي الحضارة المهيمنة.

تمجيد للعقل على حساب الدين والأخلاق، حتى ولو كان الدين صحيحاً، الذي لم يتبق منه إلا أن يكون الإسلام.

كذلك الحال بالنسبة للمسلمين أنفسهم في مذاهبهم، فبعض المسلمين كالمعتزلة أعلو من جانب العقل على حساب النقل.

وهذا خلل منهجي في البحث، وفي الفكر فحصل الضلال في هذا الجانب مما استدعى العلماء الربانيون المخلصون أن يصححوا هذا المسار في كتب ، **ومن أهمها:**

كتاب **ابن تيمية** "**درء تعارض العقل مع النقل**". فالعقل والنقل لا يختلفان أبداً ، فإذا حصل نقل صحيح فأنه لا يتعارض مع عقل صريح البتة ، بينما أولئك لم يستطيعوا أن يوازنوا هذا هو التوازن بين العقل والنقل مع تقديم جانب النقل على العقل في بعض الحالات التي يعبر عنها بما يقال: (تعبديا). أما في كل الأحوال أو غالبها فأن كل الأمور مُفسرة من الناحية العقلية ، لماذا ؟

لأن مُنزل النقل وخالق العقل واحد سبحانه وتعالى، فلا تعارض بينهما البتة. وهذا هو التوازن، والوسطية التي ينشدها الإسلام. إذاً الآن انتهينا من مجموعة من الخصائص وهي:

أولها : الربانية . الثاني: الشمولية. الثالث:الوضوح. الرابع:التميز.

الخامس: الموضوعية . السادس: الهدفية السامية. السابع:الوسطية

الحلقة (١٤)

♦ الخاصية الثامنة :وهي الاتزان.

وهو الاعتدال والتوازن وهو متعلق بقضية الوسطية ، فالوسطية هي الاتزان والاعتدال والاتزان هو الوسطية ، لكن من باب إكمال الموضوع بعضه مع بعض يكون السابع الوسطية، والثامن الاتزان.

فمن سمات الفكر الإسلامي التي تميز بها عن الأفكار الأخرى قضية الاتزان ، **والاتزان يتبع العقل ، فالعاقل يقال له: شخص متزن ، والذي فيه سفه يقال غير متزن.**

فالإسلام تميز عن الأفكار الأخرى بأن فكره فكراً متزناً ، ومن جوانب هذه الخاصية اتزان في الغاية ، فغايته أن يحقق نتيجة.

بينما الأفكار الأخرى الفكر للفكر، العلم للعلم، ليس له هدف في النهاية، وإن كان له هدف فهو هدف أرضي لا يُحلق بأصحابه إلى عالم الملكوت الأعلى حيث الدار الآخرة.

بينما الإسلام له غاية يسعى إلى تحقيقها، غاية دنيوية وغاية أخروية في اتزان ووسطية، بينما الأفكار الأخرى ليس هناك غايات سامية، كما قلنا في إحدى الخواص بأنها الهدفية السامية.

فالفكر عند أرباب المذاهب والنحل الأخرى له غايات نفعية مادية شخصية اجتماعية دنيوية، يحددها مسبقا ، ثم يذيب الفكر فيها حتى يكون خادماً لها مؤيداً وجهتها كالنفعيين والماديين الذين سخروا علم التاريخ والاجتماع لتأييد وجهات نظرهم، هكذا ؛ يعني أن الفكر الإسلامي متزن في غايته لا يهدف إلى منافع دنيوية فقط، وإنما يجمع بين الأمرين ، لا يُغلب جانب على حساب الآخر ، فغايته الكبرى أن يسعى لتحقيق هذه الغاية.

وهي قضية التوازن ، التوازن بين متطلبات الدنيا والآخرة، فهو منضبط بالقواعد الموضوعية عقلاً ونقلاً دون ذوبان في الغاية، مما يجعله يشطُّ عن الضوابط الشرعية، وهذا ما تعلمه من الأصلين[1].

هذا الفكر عندما يقوم على منهج التوازن كخاصية من خواصه، **هذا أخذه من ماذا ؟**

من الأصلين الكبيرين في التشريع الإسلامي، وهما الكتاب والسنة ممثلة في الوحي، فحركة المسلم فكرية كانت أو سلوكية، عبادة لله معتبرة شرعا.

لماذا يقوم الفكر الإسلامي على هذه القضية سواء في أفكاره أو في سلوكياته؟

لأنه متعبد لله سبحانه وتعالى. فهذه الحركة التي يقوم بها الشخص المسلم سواء في فكره أو سلوكه، تدخل في قول الله تعالى:{ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} **فأحسن العمل أخلصه وأصوبه،** وعليه كان من أساسيات تفكير المسلم التزامه بالضوابط الشرعية مع سلامة الغاية.

إذاً من أعظم سمات الاتزان في الفكر الإسلامي أنه له غاية جميلة التي عبَّرنا عنها بالهدف السامي.

بعد الغاية تأتي الجوانب التي يقوم عليها الاتزان في عالم الفكر الإسلامي.

الجانب الثاني: أنه متزن في حركته **بين الثبات والتطور،** أي الاتزان في الحركة بين الثبات والتطور.

فالفكر الإسلامي ملتزم بقواعد ثابتة تمثل حقائق منطقية، وحياً وفطرة ، وهو مع ذلك يتحرك في تطور من أجل عِمارة الأرض كما أمر الله تبارك وتعالى ، والنظر في سُننها من أجل أن يُسخرها لخدمته.

---

[1] يقصد بهما الكتاب والسنة

بينما الاتجاهات الأخرى المخالفة للفكر الإسلامي ، نرى أن الحركة فيها ليست متزنة ؛ بل أنها إما جامدة كما هو حال الأديان، سواء منها ما كان ذا أصل سماوي أو الأديان الأرضية فيها نوع من الجمود.

ولذلك رأينا أن الغربيين ثاروا على تلك الديانات لماذا؟

لأنها وقفت ضد العقل البشري، وضد إبداعاته، إبان سطوة الكنيسة في القرون الوسطى الغربية.

كذلك الحال في الاتجاهات التطورية على العكس، عندما **ثاروا على الكنيسة وألغوا الجمود وأصبحوا في تطور دائم، لا يستند إلى منهج سليم أو ضابط يردعه عن الشطط، سواء كان هذا الضابط فطرياً أو دينياً أو أخلاقياً،كالفلسفات الوجودية الوضعية التي تنتشر الآن في العالم الغربي.**

أذاً القضية الأخرى في قضية الاتزان، الذي جاء به الفكر الإسلامي **أنه متزن في غايته، متزن في حركته بين الثبات والتطور.**

الجانب الثالث: التي يتميز بها الإسلام في اعتداله واتزانه **قضية الأصالة والمعاصرة**.

نسمع هذا المصطلح **الأصالة والمعاصرة**، هذا مثل ما قلناه سابقاً في قضية الثبات والتطور، هي مرتبطة بها ، فهم في حياتهم إما ثبات و جمود ، وإما تطور ليس له حدود .

الإسلام يجمع بين ذا و ذاك **بين الثبات والتطور ، فهناك أمور ثابتة في الإسلام لا يمكن أن تتغير** ، كالأمور العقائدية، والعبادية، والأخلاقية، وهناك أمور متطورة بناء على نصوص ثابتة جاء بها الإسلام، **كقضايا المعاملات** وما إلى ذلك، وهنا تأتي قضية الأصالة والمعاصرة، فالإسلام متزن في أصالته بين مقررات الوحي الإلهي الموافق للكتاب والسنة، وهو مع ذلك يعيش أفق عصره، وأوضاعه المستجدة، بميزان متوازن عُرِف اصطلاحياً بالأصالة والمعاصرة.

فالالتزام بالأصالة لا يعني التخلي عن التفاعل مع معطيات العصر ! وليس التفاعل مع العصر مفسدٌ عليه تلك الأصالة !

وهذا واضح في مسائل الاجتهاد الشرعي، الذي لابد للقيام به في واقعه أن يقوم على فقه الشريعة، والتصور الصحيح للواقع، حتى يربط المستجدات بشريعة الله- تبارك وتعالى- وهذا هو الأصل.

يعني أن المسألة ليست معاصرة في كل ما تعنيه الكلمة من معنى من غير ضوابط ! لا. معاصرة مبنية على قضية الأصالة، ويتبع التوازن بين الأصالة والمعاصرة، التوازن بين التعبد للماضي ما يسمى التراث، وبين رفضه والاستنكاف عنه جملة وتفصيلا.

فالفكر الإسلامي فكر تراكمي، يستند في آخرة على أوله، ويستفيد منه، ويبني على أساسه، فيأخذ النافع المفيد من التراث، ويلغي غير النافع، ويربط بين الماضي والحاضر، ولذلك يرى كثير من العلماء ضرورة اطلاع المجتهد والمفتي على مناهج العلماء السابقين، في الفتوى وما يمكن له من فتاواهم وأحكامهم، ولكنه مع ذلك ليس معصوماً ومقدساً يقيني الحكم يساوى بالنصوص، **إلا إذا حصل إجماع، فالإجماع له أفضليته في مجال التشريع** .

بينما الاتجاهات الفكرية الأخرى، التابعون يتعبدون في أفكارهم لمتبوعيهم، في قداسة تتجاوز حدود النطاق البشرى، فالفكر الإسلامي يستفيد من الأفكار السابقة ، لكن يزنها في ميزان الشرع ، فما وافق الشرع أُخذ به ، وما لم يوافق لا يعتد به ، هذا ما يتعلق بالخاصية الثامنة: وهي قضية الاتزان الذي هو شقيق الوسطية.

♦ **الخاصية التاسعة**: العالمية.

من خصائص الفكر الإسلامي **عالميته**. **والعالمية هي الإنسانية**، فالدين الإسلامي دين للناس جميعاً، وكذلك الفكر الإسلامي يقوم على هذا المنهج {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا } ويقول: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧)} ويقول

صلى الله عليه وسلم: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي يهودي، ولا نصراني، ولا أحد من هذه الأمة ثم لا يؤمن بي، إلا دخل النار) أو كما قال صلى الله وسلم.

فالإنسانية التي تنظر إلى الناس بمقياس واحد ، لا تفسدها قومية أو عنصرية ، و لا تحيف بالاعتماد على جنس أو لون. **هذا هو الفكر الإسلامي، فكر نظرته عالمية لا يفرق بين البشر.**

ذلك أن الرابطة التي تربط بين البشر في مفهوم الفكر الإسلامي **هي رابط العقيدة** ، ومعيار التفاضل بينهم هو **معيار التقوى** ، فبها يرتفع الفرد أو ينخفض كما يقرر ذلك ربنا تبارك وتعالى في قوله: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) } وكما يقرره الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: (يا أيها الناس ، إن الله قد أذهب عنكم عُبية الجاهلية، وتعاظمها بآبائها، فالناس رجلان ، رجل بر تقي كريم على الله ، ورجل فاجر شقي هين على الله ، والناس بنو آدم ، وخلق الله آدم من تراب)

وفي حديث آخر يقول صلى الله عليه وسلم كما في الآية: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ }

فإذاً الإسلام معيار التفاضل فيه، معيار يستطيعه كل إنسان، وليس معيار لا يطاق ، بل هو في حدود الطاقة البشرية ، فبإمكان الإنسان أن يصبح مسلماً، وبإمكان المسلم الضال أن يكون ملتزماً ، وهنا يأتي التفاضل بين المسلم والكافر، **وبين المسلمين بعضهم مع بعض، بقدر بعدهم وقربهم من الشريعة الإسلامية، أو من متطلبات الكتاب والسنة.**

إذاً الفكر الإسلامي يقوم على هذه الخاصية ، خاصية النظرة الشمولية للعالم أجمع ، وأنه دين لا كالأديان الأخرى السابقة التي أُرسل فيها الأنبياء إلى أقوامهم خاصة ، **وإنما إلى جميع البشرية بل وحتى الجن** (إلى الثقلين) ، بينما الأديان الأخرى يرسل الأنبياء لفترة محدد إلى أقوامهم ، على عكس الرسالة الإسلامية التي هي للبشر كافة ، ولذلك كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعدد مزاياه على الأنبياء وذكر خمساً منها (وبعثت إلى الناس كافة)

ومن مقومات هذه العالمية بإيجاز وهي الخاصة الكبرى للفكر الإسلامي :-

الأول: أن الله -تبارك وتعالى- هو رب العالمين، وإلههم الأوحد الذي لا رب، ولا إله سواه .

الثاني: أن أبا البشر واحد، وهو آدم -عليه السلام-.

الثالث: أن رسول الله محمداً -صلى الله عليه وسلم- هو رسول الله إلى كافة البشر، ومعهم الجن.

الرابع: الإيمان بكافة الرسالات السابقة، بأنبيائها وكتبها؛ لأن ذلك من أركان الإيمان.

الخامس: أن الإسلام يدعو إلى الإيمان بعالمي الغيب والشهادة ، هذه من العالمية أيضا.

السادس: أن من معيار التفاضل في الإسلام متاح أمام البشر جميعا ، وهو الإسلام بالنسبة للعموم، والأخذ بالإسلام والتزامه بالنسبة للمسلمين عموماً.

السابع: أن الإسلام دين متكامل، شامل للعقيدة والشريعة.

الثامن: أن الإسلام يجمع بين الدين والحياة في توازن فريد.

هذه أهم الخصائص أو المقومات التي تقوم عليها عالمية الإسلام ، تقريباً هذه أهم الخصائص التي جاء بها الإسلام، ويستند عليها الفكر الإسلامي في نظرته للحياة ، لماذا؟ **لأن المسألة كلها مبنية على الوحي الشريف**. الذي أنزل هذا الوحي لخير البشرية ، وهو خالق تلك البشرية، فهو أعلم بما يناسبهم حيث يقول سبحانه:{ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) } سبحانه وتعالى.

هذه إذاً تسع خصائص من خصائص الفكر الإسلامي وهي: الربانية والشمولية والوضوح والتميز والموضوعية، والهدفية والوسطية والاتزان والعالمية ، تسع خصائص وبإمكان المفكر أن يعد منها الشيء الكثير ، لكن كما قلنا يدخل بعضها في بعض ويغني بعضها عن بعض.

أهم المصادر في مسألة الخصائص:

١- "**حقيقة الفكر الإسلامي**" للدكتور عبد الرحمن الزنيدي.

٢- "**الخصائص العامة الفكر الإسلامي**" للدكتور يوسف القرضاوي.

الكتب التي تتحدث عن الثقافة عموماً، فيها الحديث المتواصل عن قضية الخصائص، ومن ضمنها الثقافة الإسلامية قسماً وتخصصاً، من إعداد قسم الثقافة الإسلامية في الجامعة.

لكن يبقى الخلاف على خاصية أخيرة وهي قضية اللغة العربية.

هل اللغة العربية من خصائص الفكر الإسلامي، أو ليست كذلك ؟

هل اللغة العربية من خصائص الإسلام؟ نعم الحديث فيه للإسلام ربما يختلف من الفكر الإسلامي ؛ لأن الإسلام وعاءه اللغة العربية ، من الممكن أن يصلح أن يقال أن من خصائص الإسلام انتماءه إلى اللغة العربية ، يعني الأمر ليس على إطلاقه ، فقضية اللغة محل نزاع بين الباحثين أتكون من الخصائص أو لا تكون ؟

فإذا كان الكلام عليها محل نظر، في مسألة أتكون خاصية للإسلام؟ فإن الاختلاف عليها في قضية الفكر الإسلامي من باب أولى ، فهل من خصائص الفكر الإسلامي أنه ينتمي إلى اللغة العربية؟ قلنا هذا محل نزاع منهم من يدرجها ضمن الخصائص ، ومنهم من ينفيها، والحق في ذلك أن اللغة العربية لغة عظيمة ، وهي أفضل لغات الأرض في القديم والحديث ، والكلام حولها يطول، بل أنها من ضمن المباحث في علم أصول الفقه، فالخلاف المشهور في قضية { وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) } **هل كان ذلك باللغة العربية أو بغيرها** ، محل نزاع بين علماء الأصول.

الشاهد أن اللغة العربية **من الباحثين من يدرجها ضمن خصائص الفكر الإسلامي، ومنهم من لم يدرجها**، والحق أن من أدرجها له وجهة نظر ، ومن لم يدرجها له وجهة نظر ، **والجمع بينهما أننا لا ندرجها**، ولكن نؤكد على أهميتها، كما سنحاول أن نفعل، من أن اللغة العربية هي وعاء الكتاب الكريم ،كما أنها وعاء السنة النبوية ، والله سبحانه وتعالى اختارها لتكون لغة لخاتم رسالاته ممثلة في الكتاب والسنة ، والله سبحانه وتعالى لا يختار إلا الأكمل ، ومع ذلك حتى لو نحينا هذا جانباً ، وأخذنا بآراء علماء اللغات عموماً وعلماء فقه اللغة ، لرأينا أن لا مجال للمقارنة بين اللغة العربية وكافة لغات الأرض في القديم والحديث بعضها تقترب وبعضها تبتعد بعداً شاسعاً ، فإذا نظرنا إلى اللغة الانجليزية وهي لغة الحضارة المعاصرة ، رأينا أن لا مجال للمقارنة من قريب أو من بعيد ، بين قضية شمول تلك اللغة من عدمها ، لو وضعنا جداول لرأينا أن اللغة الانجليزية في مركز متأخر من ناحية قوة اللغة ، وشمولها لكافة معطيات الحياة، ومع ذلك نرى أن اللغة الانجليزية هي المهيمنة ، **إذاً المسألة تنبع من قوة أهلها، فاللغة العربية على قوتها في الجاهلية لم يكن لها شأن ولم تكن لغة حضارة ، ولكن لما جاء الإسلام القوي الذي أعزها ؛ رأينا أن تلك اللغة أصبحت هي لغة الثقافة العالمية في تلك الأزمنة ،كذلك الحال مع اللغة الانجليزية لولا أن وراءها قوة كبيرة من قوى الحضارة المعاصرة لما رأينا لها شأناً ، ولكن حملها على ذلك الصعود قضية قوة أهلها** ، فماذا لو كانت القوة الآن لأهل اللغة العربية ؛ لرأينا العجب العجاب في الحضارة في ذاتها وفي

لغتها ، لا ننكر أن اللغة العربية يمكن أن تصلح أن تكون خاصية من خصائص الفكر الإسلامي ، **لكن عدم إدراجها على أهميتها كأني به أولى ؛ ليستوعب الفكر الإسلامي كافة اللغات** ، لغات الأرض ولاسيما لغات الشعوب الإسلامية ، فبالإمكان أن يصدر فكر ولو لم يكتب باللغة العربية كاللغة الأردية والفارسية والتركية والكردية والأمازيقية وغيرها من اللغات التي يمكن أن يُكتب بها ، وأن كان الأولى بالمسلم أن يكون ملماً باللغة العربية ، ولذلك ذكر العلماء أن من شروط المجتهد معرفته بأمور كثيرة، وذكروا منها أن يكون عارفاً بشيء من اللغة العربية يمكنه من معرفة مراد الله في خطابه سواء ما جاء في الكتاب أو السنة النبوية ، فيعرف الناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، ولذلك من شروط المجتهد المطلق أن يكون عارفاً باللغة العربية، ويكفي هذا فخر لها أن تكون بهذا الشكل، فكانت اللغة لما كانت الحضارة الإسلامية هي المهيمنة وهي المسيطرة كانت ربما تعد خاصية من خصائص الفكر الإسلامي، لماذا ؟

لأن الفكر عند المسلمين على اختلاف لغاتهم في بلادهم المفتوحة، كانوا لا يكتبون ولا يعرفون إلا اللغة العربية، وتركوا لغاتهم الأصلية، لماذا؟

لأن لغة القرآن الكريم هي اللغة الأولى بالإتباع لماذا ؟ لأنه لا يفهم مراد الله في خطابه للبشر من خلال الكتاب والسنة، إلا بمعرفة هذه اللغة، أما ماعدا ذلك فسيكون بواسطة من خلال مترجم، أما أن تفهمها مباشرة فهذا كأنك تعبد الله رؤية، كما هو في حال العبادة، فكأن الخطاب مباشر من الذات الإلهية للبشر أنفسهم، وكفى المسلم فخراً بذلك عندما يكون عارفاً باللغة العربية، فلا يحتاج إلى وسيط لكي يبين له مراد الله في هذه القضية من عدمها، ولذلك كما قلنا برع علماء في هذه اللغة، حتى من غير العرب.

ومن مشاهيرهم إمام اللغة العربية العالم باللغة العربية المشهور (سيبويه) وهو فارسي الأصل، وربما كانت لغته في صغره ركيكة ولكن بعد ذلك أصبح من المبدعين وأعظم من ألف في اللغة العربية، وكتابه في النحو اسمه (الكتاب).

ويروى أن أبي الريحان البيروني يقول :(لئن أهُجى باللغة العربية أحب إليّ من أن أهُجى بالفارسية)وكانت لغته الأصلية الفارسية ؛ نظراً لحبهم لها، فأخلصوا لها وأبدعوا في كافة المعارف والعلوم في الطب والهندسة والكيمياء وغيرها من معارف الفكر الإسلامي بهذا اللغة.

أما اليوم فضعفت بضعف أهلها، فأصابها ما أصابها من خمول على أمل -إن شاء الله- أن تعود، وما ذلك على الله بعزيز، سائلين الله أن يوفق المخلصين لإحياء هذا اللغة مرة أخرى **لتكون لغة العلم كما هي لغة العبادة.**

هذا ما يتعلق بتلك الخصائص الكبرى للفكر الإسلامي، **وهي كما قلنا تسعا:**

وهي الربانية، والشمولية، والوضوح، التميز، والموضوعية، والهدفية السامية، والوسطية، والاتزان، والعالمية، ويبقى الخلاف على الخاصية العاشرة في قضية اللغة العربية.

الحلقة (١٥)

موضوع هذه الحلقة : ضوابط الفكر الإسلامي.

أولا: **مفهوم الضوابط:**

الضوابط: جمع ضابط، مشتق من مادة (ض-ب-ط) التي تدل على الضبط، وهو لزوم الشيء، وحبسه بدون مفارقة، وحفظه بالحزم والجزم حفظاً بليغا.

والضابط العلمي: **هو حكم كليّ ينطبق على جزئياته**، هذا التعريف العام لقضية الضوابط.

فما هي تلك الضوابط التي يحتاجها الفكر الإسلامي ليكون فكراً سليماً متزنا؟

له عدة ضوابط عددها ثمانية، وأن كان الموضوع قابلا للزيادة، أو دمج بعضها مع بعض، لكن سنتحدث إن شاء الله عن ثمان منها ، لكي يكون فكراً سليماً متسقاً مع الإسلام ، ولكي يستحق أن يوصف بأنه فكر إسلامي.

- **الضابط الأول: تحديد مجالات المعرفة المشروعة.**

والمقصود أن الإسلام وجه فكر المسلم نحو ميادين معينة يتحرك فيها ويكتسب من خلالها المعارف المثمرة.

فهل كل مجال للمعرفة متاح أو مشروع في الإسلام ؟

الجواب لا ، **بل هناك مجالات معرفة مشروعة ، وهناك مجالات معرفة ممنوعة أو غير مشروعة أو محرمة.**

إذن نُفرق بين مجالات المعرفة ! بعضها ممنوع وبعضها مشروع.

الممنوع لا يجوز للفكر الإسلامي أن يتعرض لها وإن تعرض لها خرج عن كونه فكراً إسلامياً حتى وإن كان الباحث من أبناء المسلمين.

أما لكي يكون هذا الفكر فكراً إسلامياً ، لابد أن يكون ملتزماً بالمجالات المشروعة للمعرفة ، مثل ماذا؟

كالنظر في الكون ومخلوقاته يقول تعالى: { قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠١)}، ويقول سبحانه: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) }، ويقول سبحانه: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) }، لابد من النظر، لا يُحجر على الفكر البشري أن ينظر، لكن كما قلنا لا يتعدى حدوده، وإنما وفق الضوابط الشرعية، ومن ذلك التعرف على سنن الله –عز وجل- في خلقه أفراداً وجماعات ، وهي سنن ثابتة ومستمرة لا تتخلف. سنة الله ثابتة لقوله سبحانه: { سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)}، وقوله سبحانه: { قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) }، فإذاً الكون صفحة متاحة للفكر البشري أن ينظر فيها، فإذا كان المفكر إسلامياً، ويريد فيها هداية الناس إلى منهج الله القويم، لابد له من النظر، لكن وفق أُطر الشريعة ، فله أن ينظر في هذه الأمور قد يصيب وقد يخطئ ، إن أخطأ فلا يستمر على الخطأ وإنما يصحح ، ولاسيما النظر في قضايا الكون التي أشغلت العالم المعاصر ، ولذلك اتخذها الإعجاز العلمي منهجاً ؛ لكي يثبت به – بالنسبة لعقل الغربيين– **أن الإسلام هو الدين الحق، بناء على معرفتهم هم**، وإلا الإسلام بالنسبة لنا نحن المسلمين واضح، لسنا بحاجة إلى مثل تلك الأدلة، وإن أخذنا بها فلا بأس، لكننا مقتنعون من دونها، **أما أولئك فلا يقنعهم إلا الدليل العقلي، فالدليل العقلي الآن هو مصدر من مصادر المعرفة، الغربيون يعتدون به، فيجعلونه المصدر الأول للمعرفة**، فيقنعون بذلك من الناحية العقلية في مثل قضايا الإعجاز العلمي التي لها الآن هيئة تابعة لرابطة العالم الإسلامي.

فسنن الله كثيرة: سنن إلهية، سنن اجتماعية، هذه السنن كما قلنا ثابتة لا تتغير، لكن الله خلقها ولها أمد.

فهي ليست أزلية، الله خلقها ولها أمد، ستنتهي في يوم من الأيام فيما يُعرف اصطلاحا بيوم القيامة، أو يوم الدين، أو يوم الحشر، أو ما إلى ذلك.

لكن من خلال الدنيا قد تنقض هذه السنن، لكن في حالات استثنائية عندما تكون معجزة على يد نبي ،كما تحدثنا عن

ذلك. **وقد تكون كرامةً أيضاً لشخص من أولياء الله**، كما ذكرنا في حق عمر –رضي الله عنه– عندما وجه أحد قادة جيوشه، وهو سارية، وكان بينهما آلاف الأميال، هذا في المدينة وذاك في العراق عندما قال: "**يا سارية الجبل**".

وهذه خرق للسنن ولكنها تبقى حالات استثنائية ، والكون يسير الآن وفق منهج إلهي دقيق ، لا يمكن للبشر أن يحيطوا به ، ثم الله –سبحانه وتعالى– يخرقها مثلاً في قضية الكسوف والخسوف كل ذلك من أجل أن يبتلي الله عبادة لعلهم يرجعون.

فالسنن متعددة، لابد من أن يبحثها الفكر الإسلامي؛ لأن فيها موضوع هداية، فمن السنن أيضا **قضية إهلاك العصاة** في مثل قول الله تعالى: { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) } إذاً هذه السنة قائمة في عباد الله، عندما يحيدون عن المنهج، ولكن الله لا يعاقب إلا من عصى فإن شاء عفا وإن شاء عذب. آيات كثيرة في هذا الجانب ، نأتي بأمثلة وإلا القرآن ملي بقضايا السنية في هذا الجانب، **قضية الهزيمة في الحرب، الله سبحانه وتعالى تكفل لأوليائه أن ينصرهم** { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١)} { كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١) } **هذه سنة قائمة ، لكنها قد تخرق فيحصل هزيمة، عندما لا يتبع المنهج الإلهي كاملاً**، كلنا نعرف غزوة أُحد، والإشكالات التي حصلت فيها، فعندما أنتصر المسلمون في البداية، رأينا أنهم انكسروا في نهاية المعركة؛ لما تخلى الرماة الذين أمرهم الرسول –صلى الله عليه وسلم– **ألا يبارحوا الجبل بأي صورة من الصور** ، فلما رأى المسلمون أن المعركة دارت على عدوهم !! **رأينا الرماة نزلوا عن الجبل** ، فلما التفت خالد –وكان قائد المشركين في تلك المعركة– رجع إلى الجبل وأنزل بالمسلمين مقتلة ، فهُزم المسلمين في غزوة أحد ، لكنها أصبحت درساً عظيماً للمسلمين في كافة عهودهم، واستفادوا منها دروساً كثيرة.

لما جاء القرآن يتحدث عن هذه القضية ، هل حمَّل قريش أو خالداً المسؤولية !؟ أو حملها المسلمين أنفسهم الذين لم يلتزموا بأوامر الرسول –عليه الصلاة والسلام–!؟ فيقول سبحانه وتعالى: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} إذن تحميل كامل هم الذين أخلوا، ولم ينفعهم كون الرسول –صلى الله عليه وسلم– معهم {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥) } **أنهلك وفينا الصالحون؟** قال : (نعم إذا كثر الخبث)، لابد من الإصلاح العام، لكن كما قلنا وفق أسس الشريعة.

وفي غزوة حُنين وهي الغزوة التي تلت فتح مكة، ورأينا أن المسلمين كثروا بعد هذه المعركة، قيل أن عددهم وصل أثني عشر ألف مقاتل، وربما كان عدد أفراد عدوهم أقل من ذلك، فقال قائلهم: " **لن نهزم اليوم من قلة**" وكلنا نعرف أن المسلمين انهزموا في البداية، يقول تبارك وتعالى: { لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا} السنن الإلهية أن الكثرة تغلب القلة، لكن هذا ليس دائماً، هذا عندما تتساوى الأمور ، أما عندما تصبح القلة هي المؤمنة ؛ **هنا تخرق هذه السنة في قضية غلبة القلة على الكثرة** ، وتصبح سنة جديدة أن يغلب القليل الكثيرة إذا كان مؤمناً { كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) }

سنة التغير، يقول تبارك وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ }

إذاً النظر في صفحة الكون أمر متاح، فينظر الباحث أو المفكر في آيات الله –عز وجل– المقروءة في وحيه العظيم، وما فيه من الآيات والبينات والأحكام العظيمة {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) }، فالإنسان عندما يتمعن ويمعن النظر في تشريعات الإسلام ، يرى أنها تشريعات عظمية ، هذه كلها مجال للبحث والدراسة ، لكن كما قلنا وفق أسس

الشريعة، فمجال الباحث في الأمور التي يبحث فيها، مجالات المعرفة المشروعة وهي أول الضوابط أن تحدد ، أن تكون في قضايا محسومة لكن يزداد البحث فيها ، كقضايا العقيدة، الشرعية، المعاملات ثم في قضايا الحياة كلها من غير تحديد لها مادامت تخدم الدين ، ولا تناقض المبادئ الكبرى للشريعة الإسلامية، هذا يثمر طبعاً فكراً نيراً يخدم الإنسان في دينه ودنياه ، ولسنا الآن في مجال المقارنات ، فالمقارنات تكون في الخصائص ، وانتهينا منها في الحلقات السابقة ، أما الآن فحديثنا منصب على قضية تحديد مجالات المعرفة المشروعة ، أما إن كان ممنوعاً ، فلا يجوز للعقل البشري أن يبحث فيه ، في كل ما ليس للعقل دور فيه؛ لأن العقل البشري أقصر وأصغر وأحقر من أن يخوض في أشياء خارج نطاقه.

فمثلا عالم الغيب، **لا يجوز البحث في جزيئاته التفصيلية**، إلا ما اطّلعنا الله عليه، فلا يجوز البحث في الذات الإلهية (تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في ذات الله فإنكم لن تقدروه قدره) إذن يجوز التفكر في مخلوقات الله، لكن **في ذات الله لا يجوز التفكر** والبحث في مثل هذه المسألة ، وإلا حصل الضلال كما حصل للفرق الضالة من غير المسلمين ، ومن المسلمين أو من المنتسبين إلى الإسلام ، عالم القضاء والقدر أيضاً، البحث فيه لا يؤدي إلى نتيجة! لماذا؟

لأنه سر من أسرار الله في خلقه. قضايا الدار الآخرة كلها لا نستطيع أن نعرف أكثر مما اطلعنا عليه الشرع ، أما إذا أردنا أن نبحث فيها فلن نصل فيها إلى نتيجة، بل نصل إلى ضلال ، حتى في الأمور الدنيوية التي نعيشها ، **قضية الروح التي بين جنبي الإنسان** ، الإنسان لا يعرف كُنَّهها ولا ماهيتها ، مهما حاول الباحثون أن يعددوا أغراضها أو مفاهيمها أو ما إلى ذلك. **إنما الإنسان يعرف ذلك بنتيجتها** ، يعرف إذا كان حياً أو ميتاً من خلال هذه الروح ، فإذا خرجت هذه الروح ، أصبح الإنسان جثة هامدة وبقيَّة المخلوقات. وإذا بقيت الروح أصبح الإنسان حياً ، فالبحث في قضايا الروح لا يؤدي إلى نتيجة؛ لأن الله قد حسمها {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)} البحث في مثل هذه المسائل لا يفيد.

البحث في قضايا السحر، والكهانة، والشعوذة، والأبراج والنجوم -البحث في النجوم في قضايا العلمية التي تخدم الإنسان لا بأس بها- لكنه في القضايا التي يبنى عليها غيباً مستقبلياً فهذا ممنوع من الناحية الشرعية، وجاءت به النصوص؛ لأنه من ادعاء علم الغيب، فكل هذا تخمين وخَرْصٌ، لا يليق بالمسلم أن يتجه إليه.

ولذلك نرى بعض الباحثين الغربيين المنصفين اعترفوا بتلك الحقيقة، لما تركوا الزمام لعقولهم لكي تبحث في أشياء خارجه عن نطاق الفكر البشري:

- يقول أوغست كونت (وهو صاحب النظرية الفلسفية الوضعية الغربية): " **إن عقلنا مركباً تركيباً يؤسف له** -كلمة يؤسف له هذا من كلامه لكن الله أراد له ذلك والحكمة فيما اختاره الله- **فهو مع شغفه في البحث في مسائل لا تدركها حواسنا، لن يستطيع أن يكشف عن معْمياتها** ". **وهذا هو الحق، لماذا ؟**

لأن الإنسان كما قلنا عقله مخلوق، وصغير، وعاجز عن أن يعرف الأمور الغيبية، ولذلك إذا بحث فيها فإنه إلى الضلال أقرب ،كما حصل ليس للكافرين بل للمسلمين أنفسهم الذين انزلقوا في مزالق الفلسفة، والمدارس الإشراقية الشرقية، فضلّوا في جوانب من العقيدة -في الأسماء والصفات والقدر- حتى قال قائلهم وهو الرازي في قصيدة مشهورة يهمُنا منها قوله:

نهاية إقدام العقول عِقالُ وآخر سعي العالمين ضلال

ولم نستفد من بحثِنا طول عُمرِنا سوى أن جمعنا فيه قِيل وقالوا

ولذلك الإسلام حمى هذا العقل، وجعل من مقاصد الشريعة حفظ العقل، من أن ينزلق نحو مزالق تؤدي به إلى الدمار، سواء بأشياء مادية كالمسكرات والمخدرات، أو بأشياء معنوية كالسحر والكهانة، وما إلى ذلك من هذه المسائل.

إذاً الضابط الأول من ضوابط الفكر الإسلامي: تحديد مجالات المعرفة المشروعة ، فيأخذ المشروع ويترك الممنوع جملة وتفصيلا ؛ لأنه لا فائدة منها ، بل الضرر منها محقق.

o **الضابط الثاني:** التزام الحق:

فيلتزم بهذه الحقيقة الشرعية ، وفق خطوات ثلاث:

أ-**الأولى:** استهداف الحقيقة -يعني البحث عن الحقيقة يكون هدفا- سميناها باصطلاح مصدري استهداف الحقيقة، فالمسلم مأمور بالبحث عن هذا الحق ، سواء كان منصوص عليه أو غير منصوص عليه مما لا يتعارض مع المنصوص عليه ، يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: (الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها) وهذا يفتح الباب على مصراعيه من الاستفادة من معطيات تراث الشعوب الأخرى، حتى لو كانت غير مسلمة ، لكن عندنا أن تكون حقاً (الكلمة الحكمة) لابد أن تكون حكمة ، والحكمة هي الحق ، فإذا كانت كذلك فيجوز الاستفادة من الآخرين ، بل ربما يصل إلى مرتبة أعلى في قضية الاستفادة ؛ لأن فيه نفعاً، ومعلوم أننا لا يُطلب منا أن نأخذ عن الآخرين ما يتعلق بمجال العبادات الخالصة (العقيدة –العبادة-قضايا المعاملات) إنما نأخذ منها ما يساند هذه الحياة ، مما لا يتعارض بشرط مع نصوص الكتاب والسنة ، فهنا يكون بهذا الشكل ، إذاً الأول في خطوات التزام الحق استهداف الحقيقة.

ب- **الثاني:** الانطلاق من الحق.

يعني لا ينطلق من الباطل ، يعني هدفه الحق أولاً وآخراً ، **بجعله معيارا للانطلاق كيف يكون الانطلاق من الحق؟** يجعل هذا الحق معياراً فلا يحيد عنه، ولا يتعصب لهوى أو ما إلى ذلك، إذاً الثاني الانطلاق من الحق بجعله معياراً **تُوزن به الأمور دون هوى أو شهوة ، وقد حذر الله أنبياءه وهم معصومون** فما بالك بمن عداهم ، يقول الله تعالى: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ **وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦)}

فالهوى ضد معيارية الحق، فإذا كان الأنبياء يُحذرون وحاشاهم أن يقعوا ، والتوجيه لهم توجيه لتابعيهم ، فمن باب أولى أن يكون أولئك التابعون هم أكثر الناس سماعاً لهذه التوجيهات الإلهية ، فإذا جعل الحق معياراً، فلا شك أن الإنسان سيكون عنده ميزان دقيق يزن به هذه الأفكار.

ج-**الثالث:** من الخطوات التي يقوم بها التزام الحق ، **الأخذ بالحق تبيّناً وتطبيقاً** دون مراوغة أو اكتفاء بما يوافق الهوى، أو الوقوف ضد الاعتراف النظري به ، هذا أيضاً حاصل أن يأخذ الحق. الخطوة الثالثة الأخذ بالحق تبيناً وتطبيقاً ، وعدم اللجوء إلى الهوى ، أو الأخذ بمسألة نظرية ، يأخذ الحق تبين ، لكن لا يطبق ، هذا ظاهر في حياة المسلمين فيما يعرف باسم (الإرجاء) ، فالعمل منفصل عن الإيمان ، فهو يعترف بهذا نظرياً ، والإسلام جميل وفيه لكنه لا يطبق ، فهذا لا يصلح ، وهذا للأسف عند بعض المفكرين ظاهراً ، تجد أنه يكتب كتابات جميلة عن الإسلام والى آخره ، لكنه في سلوكياته وفي تطبيقاته عنده خلل ، وعنده إشكالية ، فهنا لا يصبح الحق حتى وأن توصل إليه حقا كاملاً إلا إذا قال به ثم طبقه.

الحلقة (١٦)

تابع لموضوع الحلقة السابقة: ضوابط الفكر الإسلامي

قلنا إن الله مدح الذين **التزموا بالحق حين ما عرفوه** ، حيث يقول سبحانه وتعالى عن بعض رهبان أهل الكتاب الذين عرفوا الحق فآمنوا به: {وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ }المائدة٨٣، كما ذم الذين يكتفون من الحق **ما يوافق أهواهم**، حيث قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً }النساء١٥٠، كما ذم الله سبحانه الذين **يعرفون الحق ولكنَّهم لا يستجيبون له في قوله سبحانه**: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }البقرة١٤٦، أهل الكتاب منهم من استجاب ، والغالبية منهم لم تستجب فأنصفهم الله سبحانه وتعالى في قوله: {لَيْسُواْ سَوَاء}

o **الضابط الثالث: تحديد قيمة المعرفة وفق درجتها من الصحة:**

المعرفة خمس درجات تبدأ بـ: الوهم – الشك – الظن – غالب الظن – اليقين ، وكلما كانت المعرفة صحيحة كلما كانت أكثر قبولاً، ويمكن البناء عليها ، وهذا يقودنا إلى منهجية المعرفة ؛ **لأن المعرفة لا تخرج عن واحدة من الخمس:**

أقلها الوهم، ثم الشك، ثم الظن، ثم غالب الظن، فاليقين.

تعريف الوهم العلمي: **إدراك الشيء مع احتمال ضدٍ راجح**. يعني تُعرف حقيقةً لكن عندك إحساس قوي أن غيره أرجح منه.

الشك أعلى منه قليلاً ، وتعريفه: **إدراك الشيء مع احتمال ضد مساوٍ**. عندك معرفة لكن تتوقع أن هناك معرفة مماثلة لها عند غيرك.

الظن وهو أعلى من الشك وهو: **إدراك الشيء مع احتمال ضدٍ مرجوح**. يعني أنا عندي هذه المعرفة، وما عند الآخرين عندي إحساس قوي أنه أقل مما عندي! هذا يسمى الظن.

فوقه غالب الظن وهو: **إدراك الشيء مع طرح الاحتمال الآخر**. هذا أقوى من الظن، غالب الظن أقوى من أمر ربما يكون لكنه ضعيف جدًا لا يؤبه إليه مع احتمال وجوده، المعرفة التي حصلت تسمى غالب الظن.

أعلاها اليقين وهو: **إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا**، وهو أعلى درجات المعرفة. وعلم الله -سبحانه وتعالى- هو على هذه الصفة –**يقين جازم**– أما البشر فتعتريهم كل هذه الدرجات لكنهم قد يصلون إلى مرحلة اليقين في أمور مقطوع بصحتها ، والجزم باعتقادها كوجود الله تعالى وكالعلوم الثابتة بناء على نظريات متزنة في علم الرياضيات علم الفلك علم الكيمياء علم الفيزياء وغيرها من العلوم ، قصدنا من ذلك أن هذا الضابط يحدد لنا قيمة المعرفة التي نتحدث عنها، كلما كانت هذه المعرفة أعلى وأصح كان البناء عليها أصح والنتيجة أصح. إذن المعرفة – كما رأينا- درجات لابد أن يُحدد المفكر هذه الدرجة ويحدد نوعيتها ليكون حُكمه على الأشياء حُكماً صحيحاً، لذا فالمعرفة فيها فروض وفيها نظريات وفيها حقائق ، تندرج تحت هذه الأشياء، وهذه الحقائق قد تكون نسبية وقد تكون مطلقة: هي مطلقة للعالم الرباني بالنسبة للبشر الذي يستقيه من الوحي -هذه معلومة مطلقة-، أما المعلومة النسبية فإنها في المسائل التي لم تثبت، أو في معارف الحياة المختلفة، لذلك الإسلام وجه المسلم إلى تحري أرقى درجات المعرفة فلا يكتفي بالنظرية وباستطاعته أن يصل إلى حقيقة أو بالظن ،

وباستطاعته أن يصل إلى غالب الظن.

كما أن الإسلام أرشد إلى عدم المعارضة، أو المتابعة إلا على أساس معرفة صحيحة، أي لا يخالف لمجرد المخالفة ، وإنما تكون مخالفته للآخرين مبنية على أساس علمي في معرفة صحيحة ، يقول الله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ (٣٦)} الإسراء. هذا خطاب من الله لرسوله -صلى الله عليه وسلم- ومن بعده من باب أولى ويقول الله تعالى: {لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ(١٥)}الكهف. لابد من دليل ! ويقول تعالى: { قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا(١٤٨)} الأنعام. هذه إرشادات ربانية على **أن الإنسان يتحرى الصحة ما استطاع إلى ذلك سبيلا**؛ ولذا لا يسوغ تبين النظريات العلمية وأخذها قضايا مسلَّمَة أو إنزالها منزلة الحقائق العلمية ، فرق بين النظرية وبين الحقيقة، وهذا ربما تساهل فيه بعض الباحثين في مسائل الإعجاز العلمي، لا شك أن الإعجاز العلمي منهج عظيم من دلائل قوة الإيمان لكن التوسع فيه هو الأمر المحظور **، كي لا يتناقض ما جاء في الوحي ، مع ما جاء في نظرية علمية لم تثبت ، فربما تطرق الاتهام إلى النص!** وهذا غير صحيح جملة وتفصيلاً، فالاتهام منصب أولاً وآخراً على النظرية العلمية التي لم تثبت بعد كحقيقة مسلَّمَة، ومن هنا يجري العمل مع قضية الإعجاز العلمي بحذر شديد لئلا تصبح النتائج عكسية ؛ **لذلك الإسلام أجاز العمل بالظن الراجح في الأحكام الشرعية عند تعذر اليقين**، وهذا من رحمة الله بعباده؛ لأنه ليس باستطاعة الإنسان أن يصل إلى اليقين في جميع الأشياء، بل ولا في أكثرها، هكذا ركّب الله هذه الحياة: فيها أمور يقينية ، وفيها أمور يجري فيها غالب الظن ، وفيها أمور ظنية ، وفيها شك ، وفيها أيضًا أوهام ، هذه طبيعة الحياة في البشر في أنفسهم وفي معارفهم ، لكن الإنسان إذا كان باستطاعته أن يصل إلى اليقين فلا يُعفَى مما قبله، لذلك غالب العبادات تدخل في باب غالب الظن: في مسائل الطهارة والصلاة وما إليها فيكفي فيها غالب الظن على ما هو مفصل في كتب القواعد الفقهية ، ومثلها قضية خبر الواحد: لاشك أن الخبر المتواتر أقوى من خبر الواحد ، الخبر المتواتر يقيني ، وخبر الواحد يقيني إذا لم يكن له معارض، إن وجد معارض فلا يصبح الأمر بهذا الشكل.

o **الضابط الرابع**: التثبت

هو داخل في الضابط الثالث لكن يؤكد عليه لأهميته ، ويعني: التأكد من الأمر قبل الحكم عليه أو بناء نتائج عليه والأصل في هذا قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ(٦)}الحجرات. وفي قراءة { فتثبتوا} وهي قراءة تعتبر تفسيرية، **التبين هو التثبت**، إذا قلنا الضابط الرابع هو التثبت نستشهد له بهذه الآية { فَتَبَيَّنُوا} ثم نفس الكلمة تشهد لنا في قراءة أخرى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَثبتوا} وكلا القراءتين قراءة معتبرة، وفي ذلك أيضًا يقول تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا(٩٤)} النساء. **يعني: تثبتوا** في الجهاد إذا أعلن أحد أنه مسلم أو أنه استسلم لا يجوز قتله في هذه الحالة ! وهذا سبب نزول هذه الآية عندما قُتل رجل قال " لا إله إلا الله "وظن ذلك الصحابي أنه يتعوذ بها، لكن القلوب لله تعالى وهذا ما أغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما علم بالحادثة (أشققت عن قلبه) لذلك لابد من التبين في مثل هذه المسائل ولا يأخذ الإنسان بمجرد التوقعات أو الظنون ، لابد من اليقين أن هذا كافر لم يسلم ، وفي المقابل فإن الله تعالى يذم من يبادر إلى التكذيب دون تثبت أو تبين يقول تعالى: { بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ(٣٩)} يونس. شيء لم تحط به كيف تكذبه ! فوق إدراكك ! فلابد من الإيمان به ، وكلاهما واقع في الباطل ومحروم من الظفر بالحق هذا منهجه.

ومما يلحق بالتثبت: **التبين والنظر فيما يصلح نشره وتسوغ إشاعته** أو ما ليس كذلك. يعني الإنسان ما يبادر بنقل الأخبار حتى يتثبت منها خصوصاً إذا كانت الأخبار تمس أمن المجتمع أو أمن أفراده { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ(٨٣)} النساء. هذا أيضاً توجيه رباني على أن الإنسان لا يُشيع أي خبر حتى يتثبت من أمره، وإلا حصلت الإشكالات في المجتمع.

- يقول الإمام الشوكاني -رحمه الله في كتابه "فتح القدير في علم التفسير" في تعقيبه على الآية-: " هؤلاء جماعة من ضعفة المسلمين كانوا إذا سمعوا شيئاً من أمر المسلمين أفشوه ولو أنهم تركوا إذاعة الأخبار حتى يكون النبي -صلى الله عليه وسلم- هو الذي يذيعها ، أو يكون أولوا الأمر هم الذين يتولون ذلك ؛ لأنهم يعلمون ما ينبغي أن يُفشى وما ينبغي أن يُكتم" تفسير واضح لآية واضحة.

ومن هنا الإسلام ينهى عن بث الإشاعات والإساءة إلى الآخرين من دون وجه حق ، فالإنسان قد يتعجل بإصدار حكم على شيء بأنه شر له ، ثم يفاجأ بأنه كان خيراً له ، هذا على المستوى الفردي ، الإنسان عندما يصيبه أي أمر يظن أن هذا هو الشر لكن في الواقع قد يكون هو الخير فلا يحكم على الأشياء أو يتسخَّط (الأقدار) يقول تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ (١١)} النور. فقضية التثبت لا بد منها؛ لأن خيرها يعود على المجتمع ، وبما يستدل به على هذا قوله -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ بن جبل لما قال: ألا أُبشّر الناس قال (لا. لا تبشرهم فيتكلوا) **هذه قضية خيرية بالنسبة للإنسان، لكن ليس في إشاعتها مصلحة**، ليس بالضرورة أن يكون الخبر كاذباً لكي يمنع الإنسان من نشره، بل قد يكون صحيحاً لكن ليس من المصلحة أن يُنشر كما في الحديث المشهور (من قال لا إله إلا الله خالصة من قلبه دخل الجنة) أو كما قال -صلى الله عليه وسلم- ، فأراد معاذ بن جبل -رضي الله عنه- أن يبشر الناس بها فمنعه النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: (لا. لا تبشرهم فيتكلوا) يتكلون على هذه الكلمة فقط ، علماً أن فيها خير كثير ، لكنها لا تغني في الواقع عن العمل ؛ لأن الإيمان والعمل مربوطان ببعض لا ينفصلان أبداً ، ولكن معاذ -رضي الله عنه- أخبر بها عند وفاته تأثماً من عدم نشر العلم ، هذا هو الضابط الرابع وهو التثبت في الأخبار ، وأن لا تصدر إلا عن مبدأ سليم يقوم أيضًا على مبدأ سليم ، ويؤدي إلى نتيجة سليمة ، وإلا كان نشر الأخبار أمر فيه ضرر، هذا على المستوى العام ، مستوى الفكر نفس الكلام يقال، فلا يصلح للمفكر الإسلامي أن ينشر أي خبر أو يكتب أي مقالة وهو لم يتثبت من صحتها وما تؤدي إليه من نتائج صحيحة.

o **الضابط الخامس: الصدق**

ومكارم الأخلاق عموماً داخلة في هذا الجانب: الصدق، الأمانة، العدل، الإنصاف، كلها تدخل في هذا المجال لكن نؤكد على الصدق ؛ لأنه أصلح ما يكون في مثل هذه المسائل.

الصدق هو: الإخبار بما يوافق الواقع، أو مطابقة الحكم للواقع. فمن ضوابط الفكر الإسلامي والمفكر الإسلامي أن لا يكتب خبراً أو يفكر في أمر، إلا إذا كان هذا الخبر صادقاً ، فيصبح هذا المفكر "صدوقاً" يقول تعالى -في حث المؤمنين على الصدق-: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)}التوبة. **والصدق ذو شقين**:

الأول / في حال سعي الإنسان في البحث عن الحق، والتعرف عليه فيُصدِّق الصادق، ويناصره. وهذا أجدى ما يكون في موقف الصحابة الكرام من النبي -صلى الله عليه وسلم- ولاسيما الصحابة الأوائل وعلى رأسهم أبو بكر وعلي وخديجة رضي الله عن الجميع، والمشهور بالصدق من دلائل صدقه: أنه مشهور بذلك ، ولذلك كان الدليل العقلي على صدق رسالة

النبي -صلى الله عليه وسلم- **أنه كان صدوقًا لم يكذب في حياته على الناس في وقت لم يكن لديه تشريع ، فهل سيأتي يكذب بعدما شاب ، وهو يتحدث عن الله تبارك وتعالى! هذا يسمى الدليل العقلي** على صحة رسالة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

الثاني / في حال الإبلاغ: أنت عرفت فلابد أيضًا أن تبلِّغ، فيجب أن يلتزم الصدق في التبليغ، عرف الحق فلا يُحرِّف فيه، صدَّق الحق فيجب أن يَصدُق في تبليغه، وإلا لو حرَّف فيه لما أصبح يتصف بهذه الصفة التي يجب على المفكر أن يكون ملتزماً بها.

وقد انتظم الله تعالى هذين الشرطين في قوله سبحانه: { وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣)}الزمر.

يقول ابن القيم: "فلا يكفيك صدقك بما لابد من صدقك فيه، وتصديقك للصادقين، فكثير من الناس يمنعهم من التصديق كِبْر أو حسد أو غير ذلك".

من صفات المفكر أن يُصدِّق إذا لزم التصديق، وأن ينقل هذه الأخبار للآخرين بصدق، إن لم يفعل ذلك فليس صدوقاً، وهو ناتج عن سوء أخلاق في مقابل تركه لهذه المحاسن من الأخلاق، وقد نبه الشارع الحكيم إلى اجتناب كثير من المحاذير التي تنحرف بالفكر عن مجالات الصدق ومنها:

الافتراء والكذب: يقول تعالى: { فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٤)}آل عمران.

كتمان الحق: يقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩)}البقرة.

العناد في قبول الحق: يقول تعالى: { وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥)}الحجر.

تلبيس الحق بالباطل: يقول تعالى: { وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢)}البقرة.

هذه أربعة أمور حذر فيها الشارع تبارك وتعالى من أن ينحرف الفكر إلى مجالات لا تُحمَد.

الضابط السادس: مراعاة التوازن بين الفكرة وصاحبها

وهذه قد تحدثنا عنها في المحاضرات الأولى لما قلنا أنه يجب الإنصاف ، فالحق يُقبَل من كل مَن جاء به ، ولو كان القائل كافراً، نحكم على الفكرة ليس من صاحبها وإنما من ذاتها بغض النظر عن قائلها، وربما يأتي شخص خيِّر فيقول كلمة باطلة، بالتالي يجب أن يُفرِّق بين هذا وذاك.

o **الضابط السابع: عدم الفصل بين العلوم ونتائجها**

فالإسلام يربط بين الأعمال والنيات، سواء كانت أعمالاً للجوارح أم أعمالاً للعقل، فالعلم في الإسلام غايته هي رضا الله سبحانه وتعالى، وهدفه تحقيق النفع للناس، فالعلم غير النافع شرٌّ يُحذر منه، فمن دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- (اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من علم لا ينفع)

o **الضابط الثامن والأخير: ربط العلم والفكر بالإيمان**

ربط العلم والفكر بالإيمان ضرورة.. لماذا ؟

لأن العلم الحق هو ما أوصل إلى الإيمان ، وأسهم في ترسيخه في النفوس ، وحفَّز إلى الصلة بالله تبارك وتعالى، والسعي إلى الدار الآخرة، وقد عاب الله -عز وجل- على الذين يقفون بعلومهم عند حدود المادة الظاهرة، ويقتصرون في علومهم على

هذه الحياة الدنيا حيث يقول سبحانه: { وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧)}الروم. ويقول تعالى **في بيان الأثر الصحيح للعلم**: { يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)}فاطر. وهذه الآية شاملة في علماء الشريعة، وفي علماء الطبيعة؛ لأن سياق الآية إما أتى في حديثٍ عن أمور الطبيعة، فلا يسوغ الفصل بين العلم والفكر، لابد من الربط بينهما ليكون الأمر متسقًا بين الإيمان وبين هذا الفكر وهذه هي الغاية التي يُرجى منها في هذا الفكر

هذه أهم ضوابط الفكر الإسلامي، تحدثنا عنها تباعاً في عدة أمور ركزنا على الأول قلنا:

١. تحديد مجالات المعرفة المشروعة ٢. التزام الحق ٣. تحديد قيمة المعرفة وفق درجتها من الصحة

٤. التثبت ٥. الصدق ٦. مراعاة التوازن بين الفكرة وصاحبها

٧. عدم الفصل بين العلوم ونتائجها ٨. ربط العلم والفكر بالإيمان

المرجع كتاب: حقيقة الفكر الإسلامي لـ د. عبد الرحمن الزنيدي.

الحلقة (١٧)

هذه الحلقة والحلقات التالية **عن التجديد في الفكر الإسلامي**

قبل أن نتحدث عن التجديد ، لابد أن نستعرض مراحل الفكر التي مر بها الفكر الإسلامي ، وقبل الحديث أيضا عن مراحل الفكر الإسلامي ؛ **ماذا كان حال الفكر عند العرب في جاهليتهم قبل ظهور الإسلام؟**

قبل أن نتحدث عن التجديد، لابد أن نعرف المراحل التي مر بها الفكر حتى وصل إلى الحاجة إلى التجديد.

إذا ماذا كان وضع الفكر عند العرب في جاهليتهم؟ هذا يقودنا إلى الحديث عن الطابع الفكري للعرب قبل الإسلام.

بادئ ذي بدء لا مجال للمقارنة بين وضع العرب في جاهليتهم وبينهم بعد ما ظهر الإسلام فيهم !!

الحياة العقلية في الجاهلية تقوم على أُسس فطرية ، بينما كما نعَّرف أن الإسلام لم يكتفي بالجانب الفطري بل شمل جوانب متعددة هي مصادر للمعرفة.

بينما عند العرب في جاهليتهم كانت المصادر ضعيفة وضعيفة جداً ، ولذلك استدعى هذا الوضع بالنسبة للعرب وغيرهم من شعوب العالم ، أن يأتي دين يصحح أوضاعهم ، فكانت الحياة العقلية عند العرب يسيرة جداً ، تقوم على أسس فطرية في جاهليتهم، ومع ذلك كانت قد لبت شيء من احتياجاتهم ولاسيما في مجال الإبداع الفكري الذي تتطلبه المرحلة في ذلك الزمن.

من تلك الإبداعات: الشعر والنثر والحكمة والأمثال وحتى في الأمور المادية كالطب والفلك معارف يسيرة جداً تقوم على أمور فطرية يسيرة.

ومع ذلك فحياة العرب في جاهليتهم لم تخلو من المؤثرات الدينية بالرغم أنهم فيه جاهلية وثنية مطبقة ، إلا أن عندهم بعض التأثيرات الدينية كبقايا الحنفية من دين إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، فكان العرب في جاهليتهم المتأخرة قد اندرست معالم الدين الحنفي لم يبقى منها إلا القليل متمثلا في مشاعر الحج التي حُرف الكثير منها وبقايا من مكارم الأخلاق ، ولذلك الوثنية أصبحت هي الأصل في حياة العرب.

كما أن هناك تأثيرات دينية جانبية كانت للدينَين السابقين اليهودية والنصرانية ، حيث دان بعض العرب باليهودية

والنصرانية ، بل بعض اليهود استوطنوا الجزيرة العربية ، لكنها أديان محرَّفة لم تغني عنهم فتيلا، مع وجود المجوسية في شرق الجزيرة العربية ، فكانت حياتهم في هذا الطابع يسيرة جداً ولم تكن ذات بال. **حتى جاء الإسلام فنقل العرب نقلة نوعية حضارية أصبحوا بها سادة الدنيا** ، ولا زال ما عندهم على الرغم من تخلفهم المادي لا يقارن بما عند الآخرين.

إذا هذا يقودنا إلى الحديث عن مراحل الفكر الإسلامي منذ أن ظهر الإسلام إلى أيامنا هذه.

عند الحديث عن المراحل الفكرية التي مر بها الفكر الإسلامي نؤكد أنها ليست بالضرورة أن تكون منسجمة منطبقة ، فالباحثون اختلفوا في تقسيماتها ، فهي تختلف باختلاف وجهات النظر في مثل هذه المسائل ، **ثم إن التقسيم في المراحل التاريخية غير دقيق..لماذا ؟**

- لأنه لم يؤرخ لها إلا بعد فترات طويلة ! ولاسيما من هذا الزمن من وقوع أحداثها، ولذلك لا ندقق في قضية المراحل صحة وعدماً ؛ إنما هي محاولات لتقريب المسألة ، وأغلب الباحثين تقريبا على هذا التقسيم.

المرحلة الأولى:

المرحلة الأولى من مراحل التفكير: هي مرحلة **البناء والإبداع** ، وهذه تشمل القرون الأربعة الأوائل من الهجرة ، القرن الأول، والثاني، والثالث، والرابع، والرابع طبعاً هو الذي فيه خلاف هل هو من القرون التي أشار إليها الحديث؟ التي قال: الرسول صلى الله عليه وسلم (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) واختلف في الرابع.

فهذه المرحلة ولا شك أنها مرحلة بناء، القرون الأربعة هي عصور الازدهار الإسلامي ، وإن شابها في القرن الأخير ما شابها إلا إنها كانت في ظل الحضارة الإسلامية مميزة جداً.

حتى ألف الكاتب الأمريكي آدم ميدز كتابه "عصر النهضة في الإسلام "، أو القرن الرابع الهجري، في هذه المرحلة مرحلة **البناء والإبداع** شمل جميع **العلوم الشرعية،واللغوية، والأدبية،** والفلك، **والكيمياء، والفيزياء، وعلم البصريات والرياضيات.**

أمور كثيرة برعوا المسلمون فيها أسسوا لها، وأُسست على أساسها قضايا العلوم فيها، ونشأت العلوم في هذه المرحلة وهو عصر الاجتهاد الفقهي ؛ لأن الأئمة الأربعة كانوا في هذا العصر، وغيرهم من الأئمة المجتهدين.

فإذا عددنا الإمام أبي حنيفة والإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل ، وغيرهم من الأئمة فبقية الأئمة لا يقلون عنهم مثل الأوزاعي وابن جرير وسفيان الثوري والليث ابن سعد وغيرهم كثير.

فهي مرحلة بناء في كافة العلوم ومن ضمنها قضية الفكر وإن لم يُنص عليها بهذا الاسم الذي هو جديد.

أيضا في التفسير والذي هو أساس من أسس الفكر الإسلامي ، ويعتمد عليه الفكر الإسلامي اعتماداً متنامياً على رأسهم الإمام الطبري في هذه المرحلة.

أيضا المحدثون كلهم في هذه المرحلة **البخاري، ومسلم** ، وكبار الأدباء، واللغويين وأرباب السلوك، كل هذه الفترة تعتبر مرحلة بناء و إبداع، والفكر الإسلامي داخل فيها.

من أبرز ميزات هذه المرحلة الجميلة من حياة الفكر الإسلامي:

١) **التفهم الشامل للإسلام، والنظر في مقاصده وأهدافه** مثل مَن عمر رضي الله عنه للمؤلفة قلوبهم من الزكاة.

٢) **الاعتصام بالكتاب والسنة والرد إليهما في العقائد والأحكام**، والتكيف الحياة على ضوئها من خلال والاجتهاد الذي بلغ الذروة في تلك المرحلة.

هناك بعض السلبيات في هذه المرحلة:

١) **وجود الفِرق والمذاهب**، ولاسيما ما بعد القرن الأول كالشيعة، والخوارج، والمعتزلة وغيرهم

٢) **دخول أصناف للفكر الأجنبي** لاسيما في آخر هذه المرحلة، ومن أهمها الفلسفة اليونانية وتصوراتها ونظراتها للوجود والقيم والعلم، والتصوف اليوناني الفلسفي القائم على التصور العقلي.

٣) **تراث الأديان التي دخلت شعوبها في الإسلام أو عاشت في كنف الدولة الإسلامية**، ويشمل تراث اليهود والنصارى والمجوسي والوثني الشرقي، هذه المرحلة الأولى ايجابيتها لا تقارن بسلبياتها.

المرحلة الثانية: من مراحل الفكر الإسلامي

مرحلة (**التفاعل مع الفكر الوافد**) وهذه من أواخر القرن الرابع إلى القرن الثامن الهجري.

من أهم ما ظهر في هذا القرن فيها التفاعل مع الفكر الوافد ، التفاعل في هذه المرحلة مع الآخرين.

مميزات هذه المرحلة:

✓ **الفلسفة**: ظهر في هذه المرحلة فلاسفة عندهم إشكالات كثيرة، لكنهم يصنفون على أنهم فلاسفة في ظل الحضارة الإسلامية مثل:

ابن سينا وابن رشد وإخوان الصفا والفارابي، ولكن عندهم إشكالات كثيرة ، ومن هنا أساءوا إلى الفلسفة فوق ما فيها من الإشكالات.

- فلو أخذنا مثلا الفارابي يقول: كلام خطير من هنا **يُحذر من هذه الفلسفة يقول:**

"**لولا ما أنقذ الله به أهل العقول والأذهان بهذين الحكِيمين أفلاطون وأرسطو، ومن سَلَك سبيلهم لكان الناس في حيرة ولبس** " إذا واضح أن هذه المرحلة أصبح فيها التفاعل مع الفكر الوافد، وأصبحوا المنتسبين إلى الإسلام يمجدوا الفكر الوافد الذي هو فكر وثني على حساب الفكر الإسلامي.

- "**وفي سير أعلام النبلاء**" للإمام الذهبي يقول: عن البويهيين "**كان في أيامهم مجالس يجمعون فيها الفرق من السنة والمبتدعة واليهود والنصارى والمجوس والدهرية المنكرين للمعاد، ولكل فريق رئيس يتكلم وينصر مذهبه، فإذا جاء رئيس قام الكل له فيقول واحد تناظروا ولا أحد يحتج بكتابه ولا بنبيه فإنا لا نصدق بذلك ولا نُقر به، بل هاتوا العقل والقياس** " وهذا الكلام انحراف ما بعده انحراف ؟!!

✓ **التصوف**

من هذا التفاعل مع الفكر الوافد التصوف: التصوف، فكر وافد على المسلمين تبلور في القرن الرابع إلى القرن الثامن، بدأ بالزهد في ما لا ينفع في الآخرة، والاشتغال بعمل الآخرة، والاهتمام بالقلوب، ولكن دخل عليه كثير من الانحرافات الفكرية، و السلوكية، كالفناء ووحدة الوجود وسقوط التكاليف والرياضات الشاقة واعتزال الحياة والإعراض عنها، بل بعضهم ربما يُخرج من دائرة الإسلام: كابن عربي، والسهاوردي وغيرهم، لكن هذه المرحلة على كل حال فيها تصوف النقي إلى حد بعيد.

من محاسن هذه المرحلة ومن أهم مزاياها:

- **قيام تيارات مناهضة تهدف إلى تطهير الفكر الإسلامي** من لوثة تلك الأفكار الوافدة بشقيها الفلسفي والصوفي.
- **بروز الفكر الموسوعي وبعض روائع الإبداع الفكري، ومن أعلام هذه المرحلة شيخ الإسلام** ابن تيمية وابن القيم وابن

كثير والشاطبي والعز بن عبدالسلام وابن رجب وابن خلدون وغيرهم كثير من أئمة الإسلام يرحمهم الله.

هذه المرحلة للأسف على أنها سيئة ألا أنها أفضل من تاليتها.

المرحلة الثالثة: مرحلة الركود والجمود والانحسار:

حيث بدأت بوادرها في القرن الثامن ثم في القرن التاسع ثم استحكمت بعد ذلك، وإن لم تخلو من دعوات إصلاحية تفاوتت في أثرها وتأثيرها، إلا أنها -هذه المرحلة - ؛ ألغي فيها الاجتهاد، **فمن مظاهر الركود والجمود على العموم:**

١ - **تحول العقيدة من إيمان حي ووعي شامل، إلى فلسفة فكرية لدى الفلاسفة والمتكلمين، ثم إلى متون جافة،** تشتمل على جزيئات متفرقة، مما أثير من قِبل الفلاسفة وعلماء الكلام بمنهج كلامي ، مع إقحام كثير من المصلحات الفلسفية كالجوهر، والماهية في تلك المتون،ككتاب الجوهرة في العقيدة.

٢- **الفكر الفقهي انتقل إلى متون مكثفة ، معقدة مذهبية** تتألف من جزيئات فقهية بعيدة عن فهم كليات الشريعة ومقاصدها منفصلة عن أدلتها من القرآن والسنة، بل أصبحت قراءة القرآن والسنة بقصد التبرك في كثير من الأحيان.

هذه المرحلة مرحلة جمود وإن وجد فيها ومضات جميلة في هذه المرحلة، لكن الفكر كان جامداً، وأهم ما فيه قضية إلغاء الاجتهاد إلى حد كبير في هذه المرحلة، واقتصر الفكر الفقهي هناك على المختصر يُشرح والمطول يختصر ، ولم يكن هناك إبداع في العموم ، وإن وجد في حالات خاصة كما قلنا عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

ومن ثمرات تلك المرحلة:

- **ظهور العصبيات المذهبية.**
- **لم يعد الفكر الفقهي قادر على حل المشكلات الطارئة؛** لأن ملكة الاجتهاد انقطعت صلتها بالدليل.
- **العلوم الطبيعية كان هذا الجانب أيضاً فيه ضعف وانحسار بعد أن كان المسلمون هم الذين قد أسسوا له** وقادوه إلى بر الأمان ، ولكن وهذا الجمود شمل تلك العلوم فحصل إعراض من المسلمين عنها.

ولعل السبب في ذلك !.

موقف الأشاعرة من قضية السببية ورفضها ؛ بحجة أنها كونها منافية لكون الله خالقا ومدبرا ، وهذا فهم خاطئ. ومهاجمة الصوفية لفكرة الأخذ بالأسباب ؛ بحجة التسليم للقضاء والقدر وهو ما يعرف بالتواكل ، وإشاعتهم لفكر الخوارق والكرامات واتخاذهم البدع الخرافية طريقة لمعالجة شؤونهم بدل من الأخذ بالسنن الله التي أجراها في خلقه ، ورفض بعض العلماء العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية لدخولها في مسمى الفلسفة، فكانت النتيجة انحسار للعلوم المعرفية والرياضيات وابتعاد المسلمين عنها.

- **علم الأخلاق والزهد والرقائب:** تحول بعد أن كان مضبوطاً بالشريعة في القرون الأولى إلى تفلت، حيث أصبحت صوفية انعزالية، وانصراف عن الحياة والجهاد، فحصل انحراف كثير في كثير من المفاهيم الإسلامية الجميلة.

من أبرز السمات في هذه المرحلة وخصائصها:

١) **غلبة التقليد والنقل و حفظ النصوص والتعصب المذهبي.**

٢) **الاهتمام بعلوم الآلة دون الاهتمام بالغاية،** فالأصول يُدرس للأصول فقط كعلم، دون تكوين ملكة الاجتهاد والاستنباط وكذلك النحو وقواعد البلاغة ونحوها.

٣) **تشويه كثير من المفاهيم الإسلامية، والانحراف بها عن أصلها.**

فهذه إذاً المراحل التي مر بها الفكر الإسلامي. مراحل رأينا أنها **بدأت بداية قوية جداً كحال الإسلام** عموماً ، ومن ضمنه الفكر مرحلة إبداع وبناء وازدهار أثمرت عن ما سمي بالحضارة الإسلامية التي سيطرت على الحياة في تلك الفترة ، وأعطتها بُعداً أخلاقيا تفتقده كافة الحضارات السابقة واللاحقة ، بعد تلك الحضارة الجميلة. لكن هذه الحضارة كما قلنا لم تستمر ؛ نظرا لما أصاب المسلمين من عوامل الضَعف التي دبت فيهم ، فسمينا هذه المرحلة مرحلة التفاعل مع الفكر الوافد.

بدأ المسلمون لا يكتفون بما عندهم بل ذهبوا يأخذون ما عند الآخرين ، فسميت مرحلة التفاعل مع الفكر الوافد. وهي المرحلة الثانية ، حيث ظهرت فيها الفلسفة اليونانية وتبلورت هذه الفلسفة، فهي فلسفة وثنية تقوم على تعدد الآلهة ، كما أن التصوف والمتصوفة لم يسلموا من انحرافات الفلاسفة ، وإن كان التصوف بدأ جميلاً في المرحلة الأولى -مرحلة البناء والإبداع- **الذي هو الزهد في المفهوم الإسلامي** ، الذي جاء به الإسلام ، ولكن سُمي تصوف واستمر ينحرف حتى أصبح عالة على الفكر الإسلامي.

لتأتي بعد ذلك مرحلة أسوأ وأسوأ وهي مرحلة الجمود الفكري، الذي حل بالأمة في كافة شؤون حياتها ، ولاسيما في مجال الحياة والنوازل إلى قضية الفقه أو الاجتهاد ، ومن ضمنها قضية الفكر تعطل الفكر الإسلامي في هذه المرحلة مع وجود ومضات جميلة في هذه المرحلة ، **وعلى رأسهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ، وبعض المصلحين العرب كالأمام الشوكاني، والصنعاني، والدهلوي في الهند وغيرها كثير من الدعوات،** لكن تبقى الدعوة الإصلاحية في نجد كان لها وقع وتأثير على كافة الدعوات الأخرى ، وإن لم يكن مسارها عام بحيث تغطي جوانب الحياة الإسلامية، ربما كان لها تأثير فيما بعد أما في تلك المرحلة فكان تأثيرها محدوداً.

هذه المرحلة مرحلة جمود عارمة أصابت الأمة، مما مكَّن الأعداء منهم، النتيجة النهائية هي أن تمكن الأعداء من المسلمين ، فيما عُرف بظهور الحركة الاستعمارية ، في هذا الوقت الذي كانت الأمة الإسلامية فيه تنهار من الناحية الفكرية في الحياة العامة ومن ضمنها الحياة الفكرية ، كان للأسف على الطرف الآخر بداية بزوغ الحضارة الغربية ، لم تكتفي الحضارة الغربية بأن استفادت من الحضارة الإسلامية وتقوقعت في أماكنها في أوربا ، وإنما راحت تكتشف العالم ، لما كانت الحضارة الإسلامية زاهية كانت أوربا تغط في نوم عميق وسَمُّوها القرون الوسطى أو العصور المظلمة ، ولما بدأ المسلمون ينحسرون بدأت الحضارة الغربية تظهر من جراء احتكاكهم بعالم المسلمين في بلاد الأندلس وفي بلاد الشام أبان الحروب الصليبية، فرأوا ذلك العز الحضاري ونقلوه إلى بلادهم وبدؤوا يظهرون على الخارطة وبدؤوا بالكشوف الجغرافية حيث فتح ما يسمى بالعالم الجديد في الأمريكتين واستراليا وغيرها.

ولم يكتفوا بذلك ؛ **بل راحوا من خلال الكشوف الجغرافية يستعمرون العالم الإسلامي ،** من ضمنها أيضا قضية الكشوف العلمية بعد الكشوف الجغرافية ! حيث المسلمون دخلوا في متاهة أخرى في ظل هذه المرحلة ، بأن بدأت الدول الاستعمارية تستعمر دولهم ، فبرزت عدة مؤثرات أخرى جديدة. الوضع الداخلي بالنسبة للمسلمين ، وبدأت من الناحية الفكرية ركود وجمود ؛ نظراً لإصابة الحياة الإسلامية بذلك الجمود من جراء الخلل الذي طرأ عليها ، **ثم يأتي الإشكال الخارجي يتمثل بالضغط الاستعماري على البلاد الإسلامية** ، وما تلا ذلك من احتلال للعالم الإسلامي، ليس كله بل أكثره فبلادنا و الحمد لله في منجم من ذلك ، لكن نتكلم عن عموم الأمة الإسلامية.

وكان ذلك من جراء انفراط العقد ممثلة في سقوط الخلافة العثمانية في تركيا عام ١٩٢٤ م / ١٣٤٣هـ

في هذه المرحلة بدأ المسلمون يتحركون لتتدارك ما فاتهم ومحاولة استعادة أمجادهم.

هذا يقودنا للحديث عن التجديد في الحلقة القادمة

الحلقة (١٨)

وموضوع هذه الحلقة: **قضية التجديد في الفكر الإسلامي**.

تحدثنا في الحلقة الماضية عن المراحل التي مر بها الفكر الإسلامي، وذكرنا أنها ثلاث مراحل.

وهذا يقودنا إلى مفهوم التجديد بعد تلك المراحل.

ما هو مفهوم التجديد؟

التجديد لغة: **مصدرٌ من تجدد الشيء فصار جديداً**، أي متحولاً ومتجدداً ومستمراً.

في الاصطلاح: **فهو العودة بالشيء إلى أصله وحالته الأولى**.

أما التجديد في الفكر الإسلامي عرَّفناه في اللغة وفي الاصطلاح ثم تعريف إسلامي ؛ لأن التجديد عام في الحياة الدين في الحضارة في أي شيء، فإذا أردنا به الدين أي دين، فيصبح الحديث عن ذلك الدين، ونحن نقصد به الدين الإسلامي، وموضوعنا في الفكر الإسلامي.

فالتجديد في الدين الإسلامي: معناه إعادة حيويته كما أُنزل على الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- بإحياء من درس منه ومن معالمه ، وتنقيته مما أُلصق به من محدثات ، وحمل الناس على تمثله في الواقع العلمي والعملي. وينطبق على الفكر.

وأصل الدين هو الكتاب والسنة، **يعني الوحي**. المصدر الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهذه ميزة لا تكون إلا للإسلام ؛ لأن المصدر الأصلي محفوظ وهو الوحي. فهناك شيء نعود إليه لكي نصلح ، أما الأديان الأخرى فليست عندها مصدر صحيح فلا يُصلح الفاسد فاسداً.

أما في الإسلام فالأمر مختلف فقد تكفل الله بحفظ هذا الدين قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }الحجر ٩ ، فإذا أصل الدين هو الكتاب والسنة ، والتدين الصحيح لله يكون بالعلم السليم بهما والعمل بهذا العلم ، لكي يتدين الإنسان ديناً صحيحاً لا بد أن يكون فهمه صحيحاً للكتاب والسنة ، وهو ما يقال بأن يكون الفهم على مقتضى فهم السلف الصالح له ، ومن ثم لا يكتفا بالعلم بذلك بل لا بد من العمل.

فالتجديد يتحقق ببعث النصوص المتروكة ، بعض النصوص أهملت في فترة الجمود ، فلا بد من بعثها و تحريكها ، وإذا كانت موجودة وكان الفهم لها خاطئاً لابد أن يصحح هذا الفهم، **وتصحيح الفهم لها** وهل يكفي هذا؟ لا، لابد من العلم بها، إعلام الناس **وإعلام الآخرين بها** ، لا بد أن يبين العالم ما عَلِمه، ويبلغ عن الله تبارك وتعالى، ومن ثم تسديد العمل بها. إذا أردنا تجديداً حقيقياً لابد أن يقوم على منهج، وهذا المنهج يتحقق ببعث النصوص المتروكة، وتصحيح الفهم لها ، سواء كانت متروكة أو كانت موجودة ، والعلم بها وإبلاغ الآخرين بها ، وبتسديد العمل بها ، قد يكون العلم موجود ، ولكن الناس لا يعملون، إذاً هي حلقات مركبٌ بعضها على بعض ، إذاً هذا التجديد الذي نريده لحياة الأمة ، بعد أن مرت بتلك المرحلة التي انزوى فيها الإسلام على أمل أن يعود من خلال التجديد ، وفي ذلك يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها) لسنا في مجال الحديث عن قضية التجديد المراد في الحديث. العلماء تحدثوا في هذه القضية طويلاً، ولكن يعنينا أن هذا التجديد ليس بالضرورة أن يكون عن طريق رجل ، بل قد

يكون **عن طريق هيئة** أو **مجموعة** أو **دولة** ، ويدخل فيها الطائفة المنصورة، الطائفة المنصورة لها دور في قضية التجديد فالأمر واسع ، المهم التجديد سنة من سنن الله في كونه ، وهو في ديننا مطلب شرعي فضلاً عن كونه سنة ؛ الذي يحدونا إلى التجديد أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- حث عليه بأن يبذل كل إنسان وسعه ولو أشترك المجموعة في هذا التجديد (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة، من يجدد لها دينها) والبعث قد يكون برجل أو قد يكون بمجموعة رجال أو بهيئات أو دول ، ونسأل الله أن تكون بلادنا حاملة لواء التجديد وفق المنهج الذي يريده الدين. هذا ما يتعلق بمفهوم التجديد.

لكن السؤال الذي يتعلق بقضية المفهوم؛ ألا يمكن أن يكون هناك فهم خاطئ للتجديد ! يعني شخص يريد أن يجدد ولكن ربما يتنكب السبيل ! **متى يكون الفهم خاطئ؟** عندما لا يتحقق فيه الشروط التي ذكرنا من قضية الالتزام بالأصل التشريعي وهو الكتاب والسنة على وفق فهم السلف الصالح له.

إذا خرجنا عن هذا المسار، صار عندنا تجديد لكنه تجديد خاطئ ، قد يكون جزئياً وربما يصبح كلياً ، هذا يقودنا عن الفهم الخاطئ ، موضوع الفهم الخاطئ للتجديد ، هذا الحديث في المفهوم ! تحدثنا عن المفهوم السليم ؛ والآن نتحدث عن الفهم الخاطئ للتجديد.

مما سبق يتضح اختلاف التجديد في الإسلام عن المناهج التي أخذت بها الحركات الإصلاحية في أوربا، عندما يأتي مجدد ينتسب للمسلمين على منهج الأوربيين -عندما حاولوا أن يجددوا ما عندهم- هذا لا يصلح بالتأكيد ؛ لأن الوضع مختلف ، المنهج الإسلامي يقوم على مصدر ثابت على الكتاب والسنة ، وعلى فهم من نزل عليهم التشريع في تلك المرحلة، بينما الغربيين ليس عندهم ذلك المعيار، فمن أراد أن يأخذ بطريقهم فلا شك أن هذا المنهج سيكون خاطئ.

فالتجديد في الإسلام ، يختلف عن ما عند الأوربيين ، فالحركات الإصلاحية التي قامت في أوربا منذ عصور النهضة ، لاسيما في المجال الديني وهو الذي يعنينا باسم التنوير أو الإصلاح الديني أو **العصرنة** وهذا هو أشهرها حيث شاع هذا المصطلح "**العصرانية** "على تلك الحركات ، وهذه الحركات يجمعها مصطلح العصرانية ، سواء كانوا من منهج الإصلاح الديني أو التنوير أو غير ذلك. فلوا أردنا أن نأخذ لمحة سريعة عن منهج التجديد في أوربا، ومحاولة بعض المسلمين تقليد هذا المنهج ، باختصار !

- واجهت الأديان في العصر الحاضر، ولاسيما الديانة اليهودية والنصرانية في أوربا والإسلام في كل مكان ، مشكلة ! وهي قضية الحضارة الغربية بفلسفتها ومناهجها وعلومها ونتاجها ، فما الموقف التي اتخذتها تلك الأديان الثلاثة؟ المشهورة - الحديث عن هذه الأديان السماوية المشهورة - الحديث الآن عن اليهود ، فما هو موقف اليهود تجاه التجديد في أديانها؟ أما اليهود في أوروبا فقد ظهرت مجموعات من علمائهم، ولاسيما في ألمانيا ثم الولايات المتحدة الأمريكية ، تشكلت فرق تسمي نفسها باليهودية الإصلاحية ، من جراء ضغط الحضارة المعاصرة التي تناقض الأديان ماذا يفعلون أيتركون الدين؟ أو يتركون الحضارة؟ الحل عند اليهود أن شكلوا أنفسهم بفرق تسمى باليهودية الإصلاحية، أو اليهود المتحررة ، أو اليهود التجديدية.

كل هذه النزاعات كانت تحاول تحويل المبادئ والتعاليم اليهودية في النصوص المقدسة عندهم في "**التوراة والتلمود**" بما يتواءم مع العصر بفلسفاته و قوانينه الفكرية والتطبيقية، الغالب أنهم هكذا! نعم يوجد متدينون متزمتون ، لكن الكلام على عموم المسار الفكري اليهودي قام على محاولة التواؤم مع الحضارة الغربية.

- **هناك مبادئ وضعتها الحركة الإصلاحية اليهودية في الولايات المتحدة عام ١٨٨٦م من عناوينها:**

١- اليهودية تُعبر عن أعلى تصور للفكر الديني، الذي بينته الكتب المقدسة التي طورها العلماء وفق فلسفات كل عصر.

٢- لا يقبل من الشريعة الموسوية إلا القضايا الأخلاقية ، ويرفض كل مالا يتلاءم مع الأفكار وقيم الحضارة الغربية.

٣- اليهودية دين متطور يصارع دائما ليكون متماشياً مع العقل.

٤-رفض عقيدة الآخرة والثواب والعقاب والاكتفاء بالقول بخلود النفس.

قضية رفض عقيدة الخلود، أو الجنة والنار، هذه ليست من مبتدعات محاولة التجديد! وإنما هي مع التحريف فاليهودية اليوم في كتابها التوراة، وهو طويل جداً من ١٣٠٠ صفحة بخط صغير ليس فيه كلمة واحدة عن جنة أو نار، أو دار آخرة، فبالتالي هذا تأكيد على ما هو موجود، هذا كان حال اليهود، يعني يجعلون دينهم يتواءم مع الحضارة الغربية فهو ليس جديد وهو دين محرف لا يغني فتيلا.

أما النصارى ، فقد قامت عندهم دعوات إصلاحية منذ القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، تجاوزت أفكارها إصلاحات مارتن لوثر Martin Luther ، وكانفان في القرن السادس عشر وما بعده حيث ظهرت البروستاتنية متحررة من كثير من المبادئ الكاثوليكية **وإن اشتركت معها في عقيدة التثليث**، حيث دعا مجموعة من المفكرين الغربيين إلى وضع الكتب المقدسة تحت مجهر النقد التاريخي ، ودعوا إلى تطهيره من الأساطير والخرافات ، و كل ما هو غيبي وخارق للطبيعة.

نعم أديانهم فيها أساطير وخرافات، ولو اكتفوا بتنقيتها لكان معقول، لكن جعلوا كل ما هو غيبي بدأً من الله سبحانه وتعالى وسائر أركان الإيمان ، كالإيمان بالكتب والرسل والملائكة والقضاء والقدر واليوم الآخر و ما يتعلق به من جنة ونار ، رأوا أن هذه أساطير ؛ لأنها لا تخضع للتجربة كما يقولون، فيعتبر كل ما هو غيبي خارق للطبيعة من الأساطير التي يجب أن تُرفض واعتبروا الأناجيل تعبيراً عن تطور المرحلي عن الفكر النصراني في العصر الذي كتبت فيها، **مما يقتضي تطوير التعاليم الدينية في كل عصر وفق تقدم المعرفة، يعني ليس عندهم ثوابت يركنون إليها.**

واشتهرت هذه الحركات عند النصارى باسم العصرانية ؛ لأن هناك دعوات تقابلها، وتدعوا إلى اختيار الحضارة الغربية والمعرفة العقلية بميزان الدين، ليس كل الغربيين على هذا المنهج ، لكن التيار الساري والذي تقوم على السياسة والاقتصاد والحياة الاجتماعية هو هذا التيار العصراني ، لكن لا يمنع أن يوجد أناس متدينون في الديانة النصرانية، ولكن هذا التيار ضعيف، والقوي هو التيار المعادي للدين.

إذاً التطور في نظر هؤلاء المتدينين سواءً كانوا من اليهود أو النصارى صحيح مادام لا يتعارض مع الدين.

والدين في نظر أولئك العصرانيين صحيح ! مادام لا يتعارض مع التطور ، هذا تمييع للمسألة بهذا الشكل ، يعني أن يُجعل الدين خاضع لمنهج العقل، وهذا هو الذي عندهم في الحياة الغربية سواءً عند اليهود أو النصارى.

إذا أخذنا المتدينين الذين يدَّعون الدين قالوا: التطور صحيح مادام لا يتعارض مع الدين، هذه لها وجاهتها ، لكن ما هو الدين الذي يركنون إليه؟ هو دين محرف فيه من الخرافات الشيء الكثير.

أما الذي لا يُقبل جملة وتفصيلاً ، فهو رأى العصرانيين الذين يقولون: **أن الدين صحيح مادام لا يتعارض مع التطور**، أما إذا تعارض فهو ليس بصحيح.

ولا شك أن الدين النصراني سواءً ما بقي منه صحيح أو غالبيته المحُرفة لا يتناسب مع التطور ، لذلك ثاروا عليه ثورة عظيمة بعد أن احتك الغربيون بالحضارة الإسلامية ،كما قلنا في الأندلس وفي بلاد الشام أثناء الحروب الصليبية ، فلما رأوا

تلك الحضارة الرائعة حاولوا نقلها إلى بلادهم، في ذلك الوقت للأسف بدؤوا المسلمون يتراخون، أما الغربيون فقد أشعلوا جذوة العلم والحضارة بعيدا عن الدين.

فحصل نزاع رهيب بين الكنيسة وبين أولئك العلماء ، استطاعت الكنيسة أن تسيطر في بداية الأمر على أولئك وتقتل منهم مقتلة عظيمة فيما سمي بمحاكم التفتيش ، حتى أوصل بعض الباحثين عدد العلماء القتلى ٢٥ ألف عالم -بغض النظر عن صحة هذا الرقم من عدمه- ومن ضمن من حوكم جاليليو Galile Galilei وإن كان تراجع عن منهجه في مسألة المنظار والتلسكوب ، لكن هذا لم يفُت في عضل العلماء واستمر العلماء ينافحون ويناضلون للخلاص من سطوة الكنيسة ، حتى تمكنوا من ذلك بقيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م /١٢١١هـ. تمكنت تلك الثورة من القضاء على بعض الحكام وتنحية رجال الدين ، وجعل الدين مجرد عبادة شخصية بين الإنسان وبين من يريد أن يعبده في هذا الثالوث الخطير لا يتعدى الكنيسة ، أما الحياة والسياسية والاقتصاد يجب أن تكون على المنهج المخالف ، هذا ما فعلته الثورة الفرنسية بمحاكماتها التي أعلنت على إثرها الجمهورية الفرنسية كأول جمهورية ناجحة بعد ثورة في التاريخ ، وبذلك نُحي الدين جانباً **وأصبحت العلمانية مسيطرة على الحياة الغربية** ، ثم بعد ذلك تقاطرت الثورات في أوربا ، حتى أنهوا تقريبا سطوة الدين جملةً وتفصيلاً في الحياة الغربية ، وأصبحت العلمانية هي المنهج السائد في الحياة، وما تفرع عنها:

من الديمقراطية في المجال السياسي ، ومن الرأسمالية في المجال الاقتصادي ، ومن الليبرالية على وجه العموم في مسألة الحريات التي لا تنضبط ولا تستجيب لدين ، وإنما تستجيب للمصالح تعرف بالبراغماتية وتعني بالذرائعية، أو النفعية، أو بالمصلحة. فالمصلحة هي التي تُسير الحياة الغربية.

إذاً الدين في نظر العصرانيين يقولون: نقبله، بشرط لا يتعارض مع التطور، ولذلك نظرية دارون التي قامت في الغرب على يد تشارلز دارون Charles Darwin في القرن التاسع عشر ناقضت الدين ، ورفضها الدين وكل الأديان ترفضها.

فاحتفوا بها.. لماذا ؟ لأنها تناقض الدين ، فهم في تلك الفترة مع أي شيء يُسقط الدين و هيبته في النفوس.

هذه النظرية لا مجال للحديث عنها ، هي الآن ساقطة حتى من الناحية العلمية ، ولكن المشكلة فيما بني عليها من قضية تطور الدين ، وليس قضية تطور الإنسان ، فهذه العلم الآن لا يؤيدها بالإضافة للأديان من اليهودية، والنصرانية والإسلامية من باب أولى.

هذه هي مشكلة الغربيين ، فالمتدينون يقولون نأخذ بهذا التطور بشرط ألا يتعارض مع الدين، لكن ما هي نسبتهم هؤلاء في الحياة! وما هو تأثيرهم.. لا شيء!. التأثير هو للعصرانيين الذين يقولون: نقبل الدين بشرط ألا يتعارض مع التطور. هذا الأمر يخصهم ولا يعنينا !! لكن أصبح يعنينا للأسف عندما أراد الغربيين من خلال استعمارهم ومن خلال تأثيراتهم الإعلامية والسياسية والاقتصادية أن يؤثروا في أبناء المسلمين ، ويكرروا التجربة في العالم الإسلامي، وأن الحل هو في الخروج من الدين!! **متناسين أو متغافلين أن الإسلام هو الذي رفع العرب!** وإذا قارنا بين العرب في جاهليتهم كيف كانوا ؟ كانوا لاشيء !، وما رفعهم إلا الإسلام، ولا انحطوا إلا عندما تخلو عن الإسلام.

ولن ينهضوا مرة أخرى إلا بالإسلام بالنصوص والعقل.

وبهذه التجربة أراد بعض أبناء الإسلام الذين تأثروا بالحضارة الغربية -بما نسميهم المستغربين- أن ينقلوا التجربة للعالم الإسلامي، لكن الممانعة قائمة والحمد لله.

الحلقة (١٩)

لا يزال الحديث متواصل في قضية التجديد في الفكر الإسلامي.

حيث تحدثنا في الحلقة الماضية عن مفهوم التجديد ، وذكرنا أنه مفهوم جاءت به النصوص الشرعية ، وأنه مطلب شرعي فهو مشروع ، لكن قد يكون هناك فهماً خاطئاً للتجديد عندما يحاول بعض المسلمين أو بعض أبناء المسلمين تقليد حركات التجديد الغربية أو يبني على تجديد بعض الحركات الإسلامية أو بعض الطوائف الإسلامية الضالة ، **لا بد أن يكون التجديد وفق منهج الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح** ، أما إذا تجاوزت هذه القضية !

فلا شك أن التجديد لن يكون سليماً في الإسلام وبالتالي في الفكر الإسلامي.

هذه الحلقة سنخصصها إلى محاولات المجددين.

من هم الذين تصدوا للتجديد في الإسلام أو في الفكر الإسلامي؟ بما أننا في الفكر الإسلامي ، هذا يقودنا إلى الحديث عن **نزاعات التجديد في الفكر الإسلامي** ، عندنا نزاعات تجديد مخالفة ونزاعات تجديد تأصيلية تسير على المنهج الذي حددناه في الحلقة السابقة ، لو أردنا استعراض مواقف الفكر عند المسلمين في العصر الحديث لرأينا كيف تأتي عملية التجديد منهم بحسب مواقفهم ، إذا كان الموقف خاطئ كان التجديد خاطئ ، وإن كان الموقف سليما أصبح التجديد منهج شرعياً مطلوبا.

- **مواقف الفكر عند المسلمين في العصر الحديث في التجديد، تنقسم إلى أقسام تتمثل في:**

◇ **الموقف الأول: موقف الانغلاق ورفض الاجتهاد ورفض الجديد الوافد** من خارج البيئة الإسلامية ؛ لمخالفته للأعراف والتقاليد السائدة ، وربما نسب ذلك الرفض إلى الإسلام نفسه ، وهنا تأتي المشكلة، وهذا الموقف أقرب ما يكون للمواقف الفردية وربما يكون ردة فعل للحركة التغريبية ، هذا موقف من بعض أبناء المسلمين يدعوهم إليه الحرص والحب للإسلام ولكن نظراً لعدم معرفتهم المعرفة الكاملة لإحكام الإسلام وقضايا الفكر ، فبتالي فإن كان هناك خطأ يأتي بغير قصد! هو خطأ والخطأ لا يبرر ، لكن العذر أنه يأتي من غير قصد هم محبون دينهم ، لكن يأتي الانغلاق ورفض التجديد و يكتفي بما عليه بعض أسلافه الأقربون، إذا هذا هو الموقف الأول، موقف يرفض التجديد جملةً وتفصيلاً، إذا هذه نزعة تجديد مخالفة ! حتى لو كان أربابها من أهل الصلاح والتقى، موقف انغلاق ورفض لكثير من قضايا الاجتهاد ولاسيما في الواقع المعاصر، وبالتالي رفض كل ما يأتي عن طريق الحضارة الغربية بحجة أنها مخالفة للإسلام، متناسين نصوص كثيرة في ذلك (أن الحكمة ضالة المؤمن) وأنه فرق بين الحضارة المدنية والحضارة الثقافية، فالحضارة الثقافية تقوم على الدين ، والحضارة المدنية تعلقه بالدين بما جاء النص بالمنع منه، فبالتالي لا بأس من الاستفادة من الحضارة الغربية فيما هو نافع ، وترك ما هو ضار فبالتالي يصبح هذا الرأي (موقف الرافض) رأي خاطئ!.

◇ **الموقف الثاني : موقف تغريبي** عكس الموقف الأول تماماً ، الأخذ عن الآخرين أو الغرب جملةً وتفصيلاً. موقف التغريب هذا ممن هيمنت عليهم الثقافة الغربية، وانساقوا معها عاطفياً وفكرياً، وتبنَّوا مقولاتهم وسمعوا إلى أطروحاتهم، وسعوا إلى تغريب المجتمع المسلم بصور شتى.

إذاً الموقف الأول يرفض الحضارة الغربية وهذا موجود، ولكنه حركة فردية، أما التيار العام فهو تيار على منهج سليم يقوم

على الاستفادة بما عند الآخرين ولاسيما في بلادنا وفقها الله إلى كل خير.

الموقف الثاني موقف معاكس للموقف الأول، الأخذ بما عند الآخرين جملة وتفصيلاً بدون تدقيق أو تمحيص.

- **ومن صور هذا الموقف الذي يراد به نقل كثير من أعطيات الحضارة الغربية إلى عالم المسلمين:**

أولا: **نقل العلوم الإنسانية الغربية** ، كعلم الاجتماع والنفس والتاريخ والأخلاق والأخذ بنظرياتها وأسسها الفلسفية وهنا تأتي المشكلة؟ هذه العلوم لا بأس من أخذ المفيد فيها ! ولكن أن تبنى على الأصول الفلسفية هنا المشكلة ؛ لأن الأصول الفلسفية أصول وثنية إلحادية مادية.

مثل قولهم " الدين ظاهرة اجتماعية " هذا كلام خطأ ! **الدين ليس ظاهرة اجتماعية** ، بل هو دين ارتضاه الله -تبارك وتعالى- للبشرية، فهو مفروض عليها، وليس لها خيار أن ترفض! أما هم يقولون أن الدين ظاهرة اجتماعية، أن الدين نشأ من المجتمع نفسه بحاجته، ولم يكن له مصدر خارجي.

أما في الإسلام فمعروف أن الدين من عند الله، فمقولة أن الدين ظاهرة اجتماعية هذا رأي خاطئ ؛ لأنه يقتضي أن الإسلام مصدره المجتمع ، فبالتالي يكون مصدره إنساني ، وليس الوحي من والكتاب والسنة. وإقامة روابط المجتمع على أساس القومية أو الوطنية ، وإبعاد فكرة الرابطة الدينية ، وجعل العلاقة بين الدول علاقة سياسات ومصالح مشتركة، والدعوة إلى إلغاء الدين أو فصله عن الحياة وجعله أمر شخصياً، واعتبار قواعد العفة ضرب من الرجعية والسير في اتجاه الإباحية الأخلاقية ، هذه هي العلمانية !!

يعني يريدون أن ينقلوا العلمانية إلى مجتمع المسلمين متناسين أنه لا لقاء بين العلمانية والإسلام جملة وتفصيلاً ، فإن كانت العلمانية تصلح مع الأديان المحرفة في الغرب، فأنها مع الإسلام لا تستقيم قال تعالى: { أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} البقرة ٨٥، إذاً هذه الصور من صور التغريب الذي أرادها بعض أبناء المسلمين في الفكر المعاصر نقل العلوم الإنسانية الغربية.

ثانياً ـ اقتباس النظم الغربية في السياسة، والاقتصاد، والقانون، والتشريع. وهذا ظاهر في بعض سياسات المسلمين للآسف ولو نظريا، لا تتوافق ربما مع مبادئ الدين، وكذلك الحال في الاقتصاد، الاقتصاد الوضعي الآن وأغلب البنوك المسلمين عليه !، وإن كان الاقتصاد الإسلامي الآن بدأ يأخذ مسار جميل، ولكن لا يزال الاقتصاد في العالم الإسلامي يسير وفق النظم الغربية، وفي قضية التشريع إلغاء الشريعة الإسلامية واستبدالها بالقانون الوضعي هذا أمر ظاهر في كثير من بلاد المسلمين ، ولم يبق إلا القليل لا يزال يُحكم الشريعة الإسلامية وعلى رأسها بلادنا وفقها الله إلى كل خير

ثالثاً- تعلم العلوم البحتة والعلوم التطبيقية الفنية، مع ما فيها من الشوائب ، وذلك أن بعض هذه العلوم صبغت بصبغة الحادية. مثال: اعتبار الطبيعة هي المزودة للمخلوقات بما يساعدها على التأقلم مع بيئاتها !.

العلوم البحتة ربما الخلل فيها أقل من سابقه ، سواء كان في العلوم الإنسانية أو العلوم التشريعية وقضية النظم..لماذا ؟ لأن هي مسارها دنيوي في الغالب وإن كانت مرتبطة بالدين، لكنها ليست كالسابقتين ومع ذلك ليست على إطلاقها تلك الأمور الطبيعية، بل ربما بعضها تصتبغ بصبغات الحادية وإما في المسميات أو في طبيعة سير أعمالها أو تبرير الأشياء في قضية الكسوف والخسوف والزلازل عندما تُنسب إلى أسباب الطبيعة ومصادفات وما إلى ذلك ، بينما الواقع هي تحت إرادة الله سبحانه وتعالى، ولا يكون شيئاً في الكون إلا بإرادته.

فتعلم العلوم البحتة مطلب شرعي سواءً كان نبت عند المسلمين أو من عند غيرهم ، ولكن مع التحرز من الإشكالات

الموجودة ، وتتمثل العلوم البحتة في الطب والهندسة بمختلف معطياتها والفيزياء والكيمياء والفلك والإحياء، وبالجملة فقد سعى أصحاب هذا الاتجاه التغريبي إلى مسخ الأمة الإسلامية، وجعلها تسير في ركاب الحضارة الغربية قلباً وقالباً، ولسنا بحاجة إلى ذكر أسماء؛ لأن الموضوع لا يستدعي أن نذكر هذه الأسماء لماذا ؟ لأن الحديث أظهر من أن يتحدث عنه، فالمسألة هي تيار قائم في مجمل العالم الإسلامي، التيار التغريبي له حضوره ، وإن كانت بلادنا في معزل عن ذلك إلى حد كبير، إلا أنه للأسف أكثر بلاد المسلمين يسود فيها هذا التيار، لكن إن شاء الله الأمل في الله قوي في أن يكون للفكر الإسلامي حضوره، وإن كان والحمد لله البوادر بدأت في الظهور، هذا الموقف الثاني من مواقف التغريب.

هناك موقف نسميه الدفاع عن الإسلام، وتقريبه من النظرة الغربية ، وهذا **موقف وسط** ، ما أتينا إلى الموقف السليم إلى الآن !، الموقف الأول موقف رفض وهذا لا يصلح ، والموقف الثاني موقف تغريبي، وهو أيضا لا يصلح.

◇**الموقف الثالث**: موقف وسط جاء بين ما نريده وبين هذا الموقف، **وهو موقف يدافع عن الإسلام ومحاولة تقريبه من النظرة الغربية** كأصحاب المدرسة الإصلاحية، من أربابها ومن رموزها:

- **محمد عبده وجمال الدين الأفغاني في مصر**. هؤلاء نحسبهم والله حسيبهم محبون للدين ، ولسنا في مجال الحديث النقدي عنهما فالحديث فيهما يطول ، ولكن فيما نعرف عنهم وما يكُتب عنهم أنهم يحاولون أن يقربوا الإسلام إلى الغربيين **ولكنهم ارتكبوا أخطاء جسيمة في هذا الجانب، حيث عمدوا إلى كثير من التنازلات أمام الضغوطات الخارجية ، وتبنيهم لبعض الأفكار في العلاقة مع غير المسلمين ، وهذا فيه حديث عن قضية الولاء والبراء.**

ـ وفي التهوين من الخلاف العقدي.

- والانفتاح على الفرق الضالة، وعدم ترتيب الأوليات:

- كتقديم الأخلاق على حساب العقيدة.

- وعدم العناية بالمسائل العقدية.

- وكذلك مواقفهم من المرأة ودعوتهم لتحريرها ومساواتها مع الرجل.

يعني قضايا كثيرة لسنا في مجال الحديث عنها، إنما الحديث عام. موقف جاء وسط لا هو تغريبي كامل ولا إسلامي كامل، يتبنى الإسلام ويدافع عنه ، لكنه يتنازل عن كثير من الثوابت من أجل تقريب وجهة نظرة الإسلام من النظرة الغربية.

◇ **الموقف الرابع- الموقف الذي نريده وهو الأجمل هو الاعتزاز بالإسلام** وتمحيص الفكر الوافد وقبول النافع منها ورد الضار ، هذا الموقف الرشيد الذي نريده في قضية الإسلام عموماً ، وفي الفكر الإسلامي على وجه الخصوص يعتز بالإسلام و يأخذ بالثوابت ويبعد ويمحص كل ما هو وافد سواء كان في القديم أو في الحديث وفي مجال الحضارة المعاصرة يأخذ بالنافع ويترك الضار ، هذا الموقف يرتكز **على أسس أهمها:**

✓ **الأمر الأول: أن الإسلام دين الحق** ، وأنه هو الأساس الذي يجب أن تقوم عليه حياة المسلمين، مُمثلاً في الكتاب والسنة ، بناءً على فهم السلف الصالح، مع التأكيد على الجانب العقدي بياناً وتعليماً ، وكشفاً لصور الخلل، ومحاربة البدع والشركيات والخرافات. إذاً هذا أهم أساس من أسس الموقف الرشيد لأرباب الفكر الإسلامي.

✓ **الأمر الثاني**: أن التراث الفكري المتمثل في اجتهادات علماء المسلمين السابقين هو اجتهاد عظيم من علماء الأمة لفهم النصوص ومعالجة مشكلات العصر ، ولكن قد تختلف الظروف والأوضاع لذا ينبغي الاستفادة منه مع ملاحظة الأوضاع المستجدة التي لم تكن مطروقة في عصورهم.

✓ الأمر الثالث: أن الحضارة الغربية بما فيها من ثقافة ومدنية إنتاج بشري قابل للصواب والخطأ ، ليس له علاقة بالوحي فما ناسب منها مع حال المسلمين ودينهم، يستفاد منه وما لم يتناسب يرفض جملة وتفصيلاً..لماذا ؟ لأنه إنتاج بشري قابل للخطأ والصواب، ونحن مأمورون بالاستفادة من الآخرين (والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها) **حيث يجب التحرر من هيمنة الثقافة الغربية، وفلسفتها، وتصورها للوجود والإنسان والكون والحياة وسائر أسسها العقدية كاعتمادها على العقل وإنكار مالا يدركه من الغيبيات ، بل ونقدها وبيان خللها وزيفها وما فيها من الانحرافات في كافة الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.**

هذا هو موقف رشيد جداً يستفيد من الآخرين، ولكن الذي يضر يجب ألا يؤخذ به، وأن يبين خطأه حتى لا ينغر به أحد المسلمين يوم من الأيام.

ولا شك أن لهم نظرة مختلفة.. لماذا ؟ لأنها تقوم على نظرة مادية لا دينية ، والعلمانية معناها الصحيح ألاّ دينية ، سواءً أنه ألغي الدين جملةً وتفصيلاً أو نُحي عن الحياة، تبقى لا دينية التي تعرف باسم العلمانية ، فترفض مثل هذه المسائل.

✓ الأمر الرابع : **صياغة العلوم الإنسانية والعلوم البحتة** صياغة جديدة على أساس نظرة الإسلام الصحيحة وهو ما يسمى بأسلمة العلوم ، نعم هذه العلوم أغلبها تأسيس إسلامي كعلم الاجتماع والتاريخ وعلم الجغرافيا الذي يسمى بتقويم البلدان ، كلها المسلمون أبدعوا فيها المسلمون كذلك بقية العلوم كالطب والهندسة وحساب المثلثات والجبر وغيرها، لكن المسلمون انحسروا فكرياً كما هو الحال في كافة شؤون الحياة ، مما جعل زمام الأمور يستلم بأيدي الآخرين فأسسوا لتلك العلوم ، فهل نكتفي بما عندنا أم نأخذ ما عندهم؟ لا بأس من الاستفادة مما عندهم ، ولكن بشرط الأسلمة ما يسمى بأسلمة المعرفة أو أسلمة العلوم ولها كتاباتها ومجلاتها التي تصدر باسمها.

فبالتالي لا بد من الاستفادة من هذه العلوم لكن بشرط أن تصاغ صياغة إسلامية تقوم على الإسلام ، فما وافق منها الإسلام أُخذ به، وما عارضه يستبعد، على الأقل في هذه المرحلة ، على أمل أن نصل إلى مرحلة أخيرة يصاغ فيها نظريات إسلامية متكاملة، ليس لها علاقة بالآخرين في كافة العلوم سواءً في الطب والهندسة والكيمياء والأحياء أو حتى في العلوم الإنسانية من علم الاجتماع، و النفس والتاريخ ، كما أبدع المسلمون الأوائل لن يقف الأمر عليهم بل المسلمين عندهم القدرة إن شاء الله على صيانة مثل هذه المعارف الجديدة مرةً أخرى[1].

✓ الأمر الخامس(الأخير) : **التجديد** وهذا هو الذي يخص الفكر الإسلامي في المقام الأول ، **التجديد وفق الضوابط الشرعية**

يعني هذا الموقف الرشيد يدعو إلى التجديد ، وموضوعنا في التجديد، وكل ما ذكرناه عن التجديد ، لكن نريد أن نتحدث عن التجديد بذاته الذي هو مطلوب من الناحية الشرعية.

فما هي مجالات التجديد وأسسه؟ هو ما سنتحدث عنه في الحلقة القادمة والأخيرة .

الحلقة (٢٠)

لا يزال الحديث فيها عن التجديد في الفكر الإسلامي.

تحدثنا في الحلقة الماضية عن نزعات التجديد المرفوضة والمقبولة ، في هذه الحلقة سيكون الحديث عن النزعات المقبولة في مجالاتها وفي أُسسها.

[1] وأعاد الأستاذ شرح الأسس الأربعة السابقة

قلنا حتى في المراحل التي مر بها الفكر الإسلامي قديماً في مرحلة التفاعل مع الفكر الوافد كان هناك مجددون ؛ لأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- كما قلنا في المحاضرة الماضية أن التجديد مطلب شرعي لأن الدين جاء به ، فالتجديد موجود حتى في حركات الضعف كان هناك تجديد ، لكنه يبقى تجديد محصور في مجاله ، ليس تجديداً عاماً يشمل مختلف جوانب حياة الأمة ، فإذا كانت المرحلة الثانية مرحلة التفاعل مع الفكر الوافد كان شيخ الإسلام ابن تيمية مثلا يُعتبر رمز لهذه المرحلة ، والمرحلة الثالثة مرحلة الجمود الفكري يمثله الشيخ محمد بن عبد الوهاب يرحمه الله أيضا مرحلة مميزة نقّت الإسلام من كثير مما شابه من البدع والخُرافات وغير ذلك.

فإنَّ الحديث في هذه المرحلة التي نحن فيها الآن والتي تعاني منها الأمة ، قامت دعوات تجديدية لتجديد الدين عموماً والفكر الإسلامي على وجه الخصوص بما أنه هو مجال الحديث في موضوعنا ، فالحركات التجديدية في واقعنا المعاصر ربما يقوم بها شخص ، لكنه لا يستطيع أن يلبي جميع الحياة الإسلامية في مجال الدين في مجال السياسة في مجال الاجتماع وفي مجال الاقتصاد و الثقافة ، ولذا لا بد من الجمعيات أو الهيئات التي تتولى مثل هذه القضية لأن المسألة واسعة جداً ، فأغلب جهات التجديد الآن هي جهات عمومية ، مثل هيئات كبار العلماء مثل المجامع الفقهية مثل مؤسسات الفكر وما إلى ذلك التي بدأت تتبلور الآن لإحداث نقلة في مسألة الأمة.

فما هي المجالات التي هي قابلة للتجديد؟

هل كل مجال من المجالات الحياة الإسلامية تحتاج لهذا الأمر؟ إذاً هذا موضوعنا في هذه الحلقة عن مجالات التجديد وأُسسه في الإسلام.

مجالات التجديد عديدة في الفقه مثلاً في السنة في **الحكم** وهذا هو الأصل ؛ الحكم هو أساس هذه الأمور لأن التجديد الكلي من الصعب تحققه من قبل فرد واحد -على الأقل من الناحية النظرية- سواء في الدين كله أو الأمة كلها نظراً إلى أن الدين كله واسع جداً يختلف في مناحي الحياة كلها ، والأمة الآن متفرقة في دول متعددة، فلا بد من جهات رسمية تجمعها كما قلنا.

- **على مستوى الأمة مثلا منظمة المؤتمر الإسلامي.**
- **على مستوى العرب جامعة الدول العربية.**
- **على مستوى الخليج مجلس التعاون الخليجي**، فقضية التجديد هل من الضرورة أن يقوم بها شخص واحد!؟

إن قام هذا نور على نور مما يقلل الفترة الزمنية المرادة ، يظهر والله أعلم أن هذا فيه نوع من الصعوبة.

- يقول إِسْتْهَارِنْ فُورِي: "لا ينطبق على كثير ممن تشرف بالتجديد أن يكون جدد كل نوع من أنواع الدين" ربما واحد فعل! لكن هل من سمي مجدداً ، جدد كل الدين!؟ هذا أمر فيه نوع من الاستحالة ولاسيما في عصرنا هذا ، ولهذا قال العلماء: "إن من الموجودة في الحديث لا تقتصر على واحد في القرن بل تتسع لأكثر ، وعليه فقد يشترك مجموعة في عملية التجديد يختص كل واحد منهم بفن من فنون العلم الشرعي أو جانب من جوانب السلوك". هكذا يقول إِسْتْهَارِن فوري **في بذل المجهود.. لماذا؟** لأن قدرة الناس مهما كانت تبقى قاصرة عن أن تنال ذلك كله، لكن لو أردنا أن نعطي بإيجاز ما هي هذه المجالات التي ممكن أن تُجدد سواء قام بها واحد أو قامت بها مجموعة؟ وهذا هو الأسلم.

☒ **أول مجالات التجديد**: العقيدة.

معلوم أن العقيدة من الثوابت، والثوابت لا تتغير بتغير الزمان والمكان، لكن المشكلة أن هذه الثوابت قد يصيبها شيء

خارجي عنها ، وإلا العقيدة ثابتة لا تتغير أبداً !. لكن قد يصيبها !! ومشكلة المسلمين منذ أن بدأ انحسارهم الحضاري كانت مشكلة عقائدية في المقام الأول ، العقيدة موجودة لكن أصابها من لوثات الأفكار الأخرى ومن البدع والخرافات ما أصابها مما تعاني منه الأمة إلى يومنا هذا.

فالعقيدة في مجال التجديد ليس في ذاتها ولكن مما علق فيها من حيث تنقيتها مما شابها وبعث أثرها في النفوس والأعمال وبيان منهج أخذها من الكتاب والسنة ومناقشة القضايا الجديدة المثارة فيها.

يعني القضايا المادية وقضايا الإلحاد المعاصرة وقضايا الشيوعية كل هذه قضايا جديدة! قابلة للحديث فيها في مجال العقيدة، فضلاً عن الأمور التي بحثها العلماء الأولون كقضايا البدع والخرافات والقبور وما إلى ذلك.

☒ **المجال الثاني**: بعد العقيدة **هو مجال النظر والاستدلال** ، ومعالجة قضايا الحياة الواقعية وفق الأدلة الشرعية ، وضبط تغيراتها بنصوص الكتاب والسنة وقواعد الشريعة.

هذه قضية آلة ، قضية النظر ولاستدلال وتخدم مجال الفكر الإسلامي خدمة عظيمة.

☒ **المجال الثالث**: **مجال السلوك الفردي والاجتماعي**

من المجالات التي هي قابلة للتجديد مجال الفردي والاجتماعي بالدعوة لله تبارك وتعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتخاذ الممكن لحمل الناس على الالتزام بالشريعة والتطهر من البدع والمعاصي ، في مجال السلوك حياة الناس العامة، بما ليس له تعلق مباشر بالعقيدة، هذا النص موجود لكن كيف تجد فيه؟ عن طريق بعث هذه النصوص ومحاولة تقريب الناس لها ، وتقريبها من الناس وفق الخطاب الديني المعاصر، الذي يستجيب لمتطلبات المرحلة مع عدم التخلي عن الثوابت في مسألة الدعوة إلى الله ، وأنها ليست خيار مع التوجيه والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحسنى {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }النحل١٢٥

☒ **المجال الرابع**: **مجال الحكم والسياسة.**

بإقامة دستور دولة مسلمة وتنظيماتها الداخلية على منهج الإسلام ، وضبط علاقاتها الخارجية، ومواقفها الدولية بالضوابط الشرعية ، وتوظيف الإمكانات المادية والبشرية المهيأة في عصره في الارتقاء بالصياغة السياسية بما يحقق المصلحة الشرعية.

هذا مجال التجديد في مجال الحكم والسياسة ؛ بأن تقوم دساتير الدول الإسلامية على الضوابط الشرعية ، وألا يكون فيها شيء مخالف للإسلام ، إلى الآن دستور كامل للدولة الإسلامية لم تأخذ به الدول الإسلامية ، بلادنا والله الحمد خطت خطوات جيدة في مسألة وضع دستور للدولة وكله والحمد لله يتوافق مع الإسلام ولا يناقضه في شيء.

هل بقية الدساتير بهذا الشكل!؟ نرجو إن شاء الله أن يكون الحل قريباً ، إضافة إلى إقامة دستور شامل على وجه العموم وهو ما تقوم به الآن الهيئات الكبرى كمنظمة العالم الإسلامي ، إذاً الرابع في مجال التجديد وفي مجال الحكم والسياسة

☒ **المجال الخامس**: **بيان السبل المخالفة للإسلام في كل مجال.**

هذا عام نتحدث عن الحكم والسياسة، أيضا بقية الحياة في الاقتصاد وغيرها كلها داخلة في هذا المجال، إذن بيان السبل المخالفة للإسلام في كل مجال، وفضح المبادئ والاتجاهات التي تقوم مناوئة لدين الله في حياة البشر، وتدعي زوراً أنها وسيلة سعادتهم بكشف زيفها وانحرافها عن منهج الله، وبُعدها عن تحقيق السعادة. أي نقد الأمور الموجودة والمخالفة مما غزى حياة المسلمين من العادات والتقاليد سواء كانت محلية أو أتت إليهم من الوافد الخارجي، شرقياً كان أو غربياً.

هذا أهم مجالات التجديد، مجالات التجديد المطلوبة أن تكون:

- في العقيدة وما داخلها من شوائب.
- في مجال النظر والاستدلال، وفي معالجة القضايا في الحياة الواقعية وفق الأدلة الشرعية.
- مجال السلوك أي الأخلاق سواء كانت فردية أو اجتماعية.
- في مجال الحكم والسياسة وما إليها من الاقتصاد المرتبط بالدولة وغيره.
- بيان السبل المخالفة للإسلام في كل مجالات الحياة الإسلامية وإعادة صياغتها مرة أخرى بفضح هذا المخالف وإيجاد البديل الذي يتناسب مع الشريعة الإسلامية.

إذا هذه مجالات التجديد ذكرناها خمسة: العقيدة ، مجال النوع والاستدلال ، السلوك الفردي والاجتماعي ، الحكم والسياسة ، بيان السبل المخالفة للإسلام في كل المجال.

هذا يقودنا للحديث الأخير عن أسس التجديد، ما هي الأسس التي يقوم عليها التجديد؟

للتجديد أسس منهجية يقوم عليها من أبرزها:

أولا - **الفصل بين الوحي الإلهي والفكر الإسلامي**، حتى لا ينجر حكم أحدهما على الآخر، وهو يتعامل مع التراث الإسلامي ، كأن يحكم بتأثر الوحي بالزمان والمكان الذي هو سنة الفكر، فيتصور محدوديته فيتجاوزه أو أن يفعل العكس فيحكم بالعصمة للفكر، والعصمة خاصية للوحي لا غير.

إذن يجب أن نفصل بين قضايا الوحي وبين قضايا الفكر الإسلامي ، فلا يكون معطى للعصمة كما هو حال الوحي ؛ لأن أحكامه قد يكون فيها أيضاً خطأ.

الثاني- **الاعتماد في التفقه والاستنباط على الوحي كتاباً وسنة أو على ما أحال إليه كالإجماع والقياس** و نحوهما في المقام الأول، ولا مانع من الأخذ بغيرهما كما قلنا كالإجماع الذي يبنى على الكتاب والسنة، والقياس الذي هو عمل العقل كما تحدثنا عن ذلك في المحاضرات السابقة.

الثالث- من أسس التجديد **الالتزام بضوابط الشريعة في الفكر التجديدي** ، وقد ذكرنا الضوابط في حلقات ماضية.

الرابع - **النظرة الكلية في الإسلام دون تجزئته أشلاء متفرقة** ، وهذه ميزة الفكر الإسلامي، أو الثقافة الإسلامية، أنها لا تأخذ الإحكام التفصيلية؛ الإحكام التفصيلية للعلوم الأخرى، في الإحكام الفقهية هنا نأخذ الإحكام التفصيلية حلال حرام، يجوز، افعل، لا تفعل. لكن عندما ننظر إلى الجانب الفقهي في مجال بحثه الثقافي أو الفكري، هنا نأخذ بعمومه، فمثلاً عندما يُفصَّل الفقيه في أحكام النكاح والطلاق وما إلى ذلك بحلال وحرام.

ما هو دور المفكر الثقافي ؟ هو أن يأخذ حِكمة هذه الأشياء.

ما الحكمة من تشريع الزواج؟ ما الحكمة من تشريع الطلاق؟

ما هو دور الإسلام مثلا في الإبقاء على العشرة أو العلاقة الزوجية؟

هذه ربما لا يبحثها الفقيه بوجه فقهي، وإنما هي عمل المفكر، أو عمل المثقف، هذه النظرة الشمولية للإسلام هي المنهج الفكري، أو المنهج الثقافي، بينما هذه التفصيلات مهمة العلوم الأخرى ولاسيما مجال الفقه، البحث في الأمور التفصيلية، أما الأسس التي يقوم عليها البحث الثقافي في مجال التجديد في أسسه، يقوم على النظرة الكلية ليست الجزئية، النظرة الكلية للإسلام دون تجزئته أشلاء متفرقة.

الأساس الخامس - **الوعي والاتزان في النظرة إلى الفكر الإسلامي السابق**، ومن ذلك التفريق بين التراث الفقهي والتراث

الكلامي عند المسلمين، التراث الإسلامي السابق يُنظر إليه بوسطية واتزان، ولا يُؤخذ جملة وتفصيلاً، ولا يرفض جملة و تفصيلاً؛ وإنما يؤخذ منه ما يتناسب مع المرحلة ، و يُجدد في ما جدّ من نوازل في هذه المرحلة العصرية التي نعيشها، هذه في التراث الفقهي.

أما في التراث الكلامي في مجال العقائد وغيرها فهنا يجب التحرز في مثل هذه المسائل لماذا؟ لأن العقيدة تثبت بالكتاب والسنة وليس من خلال علم الكلام الذي أضل كثيراً من أبناء المسلمين، فتنكبت بهم السبل ، فخرجت الطوائف العقَدية المتكاثرة.

فالتراث الكلامي في غالبه يتمثل في مفاهيم ومصطلحات وقواعد فكريه وتصورات فلسفيه،ك انت تطبع الفكر العالمي الذي واجهه المسلمون في عصور مضت، بُحثت في هذه المسائل من خلال عقول يحمل أصحابها الإسلام فيتسم علاجهم بالسمة الإسلامية، أو تكون معالجة بعقلية إسلامية، والعصر الذي نعيشه ينبذ مصطلحات ومفاهيم ومبادئ أخرى سوى تلك، فيجب التفريق بين التراث القديم وما نحتاجه في هذه المرحلة.

فهذا العصر كما قلنا عصر المصطلحات والمفاهيم والمبادئ التي يجب الحذر في التعامل معها، وعدم الانسياق وراءها، لاسيما في مجال دراسة العقائد أو العقيدة الإسلامية؛ لأن هذا يؤثر في المسار العام للأمة.

إذاً الأساس الخامس هو الوعي والاتزان في النظرة إلى الفكر الإسلامي السابق، وذلك من خلال التفريق بين التراث الإسلامي والتراث الكلامي عند المسلمين، فالتراث الفقهي يستفاد منه فيما تشابه، وفيما جد هنا في مجال الاجتهاد.

التراث الكلامي عند المسلمين يجب الحذر منه؛ لأنه كما قلنا أضل كثيراً، إذا استفيد من آليته في بعض الأشياء! فيجب إلا ينجر الحديث إلى مصطلحات القوم، وإنما يكتفي بما جاءت به الشريعة الإسلامية ففيها العصمة.

الأساس السادس - من أسس التجديد الفكري الإسلامي ، **الوعي بواقع الحياة البشرية في جوانبها المادية والفكرية والاجتماعية وتصورها في وضعها الصحيح الذي انتهت إليه** ؛ لأن هذه الحياة هي موقع الإحكام الشرعية ، والحكم على الشيء فرع عن تصوره.

إذاً هذا هو الأساس السادس ، عندما ننظر في المسائل بغية التجديد في مجالات الحياة، فننظر بواقعية في الحياة في كافة الجوانب سواء كانت مادية، أو فكرية، أو اجتماعية ووضعها في نصابها الصحيح؛ لأن الحياة هي موقع الأحكام، فإذا عزلنا بين الحياة وبين الأحكام أصبحت هذه الإحكام مجرد أحكام نظرية، لا تعالج الواقع الذي نريده، وهذا هو عمل المجدد في مجال الأحكام الاجتهادية، ويدخل فيه الفتوى سواء فيه أحكام الدين المباشرة، في العبادة والمعاملات، أو في قضايا الفكر الإسلامي كما قلنا.

لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره ؛ ولذلك ينبغي أن نعي واقع الحياة المعاصرة خاصة في جوانبها الفكرية والاجتماعية؛ لأن الأمور الآن تعقدت وتشابكت فلا يكفي التصور الصحيح بعلله الدافعة، وجهاته الفاعلة، وملابساته الظرفية زماناً ومكاناً، أو مما ينطلق من حديث المجالس، أو إشاعات الصحافة، بل لابد من دراسة الأبعاد في كل قضية نازلة، و الوعي بالأسس: يقوم على أساس إدراك مدى قربه أو بعده من أصول الدين ومنهجه.

إذاً هذه القضية، الأساس السادس أن نعي واقع الحياة المعاصرة، وأنها حياة متشابكة فيها من الإشكاليات الشيء العظيم، فلا نُنزل الوقائع السابقة على الجديد ، وإنما إذا كان يتناسب جملة وتفصيلاً أُخذ به ، يتناسب بعضه أُخذ ما يتناسب ، **أما المخالف فهنا يأتي دور المجدد، التزام بتلك الأسس التي ذكرناها كلها وهي:**

الأول – الفصل بين الوحي الإلهي والفكر الإسلامي.

الثاني– الاعتماد على التفقه والاستنباط على الوحي كتاباً وسنة.

الثالث– الالتزام بالضوابط الشرعية في الفكر التجديدي.

الرابع –النظرة الكلية للإسلام دون النظرات التفصيلية التي تخص المعارف الإسلامية الأخرى.

الخامس –الوعي والاتزان في النظرة إلى الفكر الإسلامي السابق وما تركه الآخرون.

السادس– الوعي بواقع الحياة البشرية في جوانبها المادية والفكرية والاجتماعية، وتصورها في وضعها الصحيح التي انتهت إليه؛ لأن هذه الحياة هي موقع الأحكام الشرعية، والحكم عن الشيء فرع عن تصوره.

إذاً معرفة هذه الأسس يقوم عليها مدى إدراك الشيء ، **أهذا الشيء قريب من الإسلام ومنهجه؟ أو بعيد عنه؟**

فإن كان بعيداً نبه إلى الخطأ، وأوجد البديل، وإن كان صحيحاً أُثبت وأُكد، هذا ما يتعلق بقضايا التجديد في الفكر الإسلامي سواء في مفهومه أو في النزعات التجديدية، أو في مجالات التجديد، أو في أسس التجديد.

ومراجعه كثيرة من أشهرها وأهمها:

- "تجديد الفكر الإسلامي" **للدكتور محسن عبد الحميد.**
- "تجديد في المسلمين لا في الإسلام" **للدكتور عمر فروخ.**
- "المجددون في الإسلام " **للدكتور عبد المتعال الصعيدي.**
- "مفهوم تجديد الدين" **لبسطامي سعيد.**
- "الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية" **للشيخ محمد المبارك.**
- إضافة إلى الكتاب الذي هو موضوع هذه الدراسة "كتاب حقيقة الفكر الإسلامي" **للدكتور عبد الرحمن الزنيدي.**

هذا ما يتعلق بالمنهج الذي استوعبناه من خلال محاضرات عدة، ولكن يبقى التنبيه على قضية هي خاتمة لهذا المقرر، تتمثل فيه قضية المصطلح الفكر الإسلامي.

كلمة الفكر الإسلامي، ربما نسمع في بعض الأحيان أن مصطلح الفكر الإسلامي حوله إشكالات، عندما يُنسب إلى الإسلام، فيقال الفكر الإسلامي، هو الواقع والصحيح أنه فكر مسلمين لا الفكر الإسلامي، لكن هذه النسبة من باب التخفيف البلاغي، كما نقول الفقه الإسلامي، والتاريخ الإسلامي، يقال أيضا الفكر الإسلامي، وإلاّ الواقع هو فكر المسلمين، ثم هو تشريف لهذا الفكر أن يكون منتسباً إلى الإسلام، وعندنا والحمد لله معياراً نستطيع أن نزن به الأمور، فحتى ولو سمي فكراً إسلامياً؛ فما تناسب مع الإسلام يُؤخذ به، وما لم يتناسب ينبه على خطئه ويحاول أن يوجد البديل، فأيضاً نفس الكلام عندما نقول أنه فكر المسلمين، الفقه نفسه وهو من أعظم التخصصات الشرعية عندما يقال الفقه الإسلامي، وهو اجتهاد قد يصيب وقد يخطئ، فهل يُنسب هذا الخطأ أيضاً للإسلام؟ لا. وإنما هو فكر المسلمين في الواقع، أو فقه المسلمين، وصحيح أن الفقه الإسلامي أقرب إلى الصواب من الفكر الإسلامي.. لماذا؟ لأن المتصدين للفقه الإسلامي في غالبهم من علماء الدين، بينما الفكر الإسلامي ربما تصدى له من ثقافته الإسلامية ضحلة، فاحتمال وقوعه في الأخطاء أكثر من غيره.

لكن من ذلك نؤكد أنه حتى الفقه الإسلامي ربما الفقيه يخطئ، فبالتالي هل ينسب الخطأ إلى الإسلام؟ لا. إنما هو كما قلنا نسبة تشريفية، نسبة تخفيفية في مسألة اللفظ، مع التأكيد على أن الفقه إنتاج بشري مبني على الكتاب والسنة، فربما يخطئ الفقيه، وربما يصيب. كذلك الحال في قضية المفكر، فمن باب الإطلاق يجوز أن نقول الفكر الإسلامي حتى ولو لم يكن في

بعضه فكراً سليماً، مع ضرورة التنبيه عليه، وإنما هو في الواقع هو فكر مسلمين، فالمسالة فيها توسع الآن، فهل يجوز أيضا أن نقول التاريخ الإسلامي أو لا يجوز؟

نفس القضية التاريخ الإسلام، علم الاجتماع الإسلامي، علم النفس الإسلامي، علم الاقتصاد الإسلامي، فيه الصَّحيح وفيه الخطأ، وبالتالي لا ندقق في مثل هذه المسائل؛ لأنه يؤكد على أن الإسلام هو الوحي، بينما الفكر هو جهد بشري، فنسبته إلى الإسلام هو تشريف له ؛ لأن هذا الفكر بشري يحتمل الخطأ والصواب بينما الإسلام لا يحتمل إلا الصواب ، وبالتالي يجاب عن هذه القضية بأن استعمال هذا المصطلح شاع في هذا العصر تجوزاً ، والمراد به ما انتجه المفكرون المسلمون وفق الضوابط الشرعية ، وذلك تمييزاً له عن ما صدر عن بعض المفكرين المنتسبين للإسلام قديماً وحديثاً ، ولكن لم يسلم من التأثر بالمناهج والأفكار التي لا تتفق مع مبادئ الإسلام وأحكامه كالفكر الاعتزالي والفلسفي والعلماني و الحداثي وغيرها من الأفكار. وبالتالي التجوز في هذه المسألة وارد ؛ نظراً إلى أنه أصبح مصطلح علمي (الفكر الإسلامي) مع التأكيد على أنه جهد بشري قد يصيب وقد يخطئ. هذا ما يتعلق بهذا المنهج ، وبعد فهذا هو الحديث الذي تواصل معنا في عشرين حلقة، هذا ما يتعلق بهذا المقرر الذي تحدثنا فيه عن الفكر الإسلامي في مفهومه وأهميته ومناهجه ومصادره وأصوله وخصائصه وضوابطه وتجديده. والله المستعان على فهم ما عِلمنا والعمل على تحقيقه على أرض الواقع قدر الإمكان، والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا وأسوتنا وقدوتنا محمد بن عبد الله الأمين.

تم بحمد الله

الفهرس

م	العنصر
١	مفهوم الفكر الإسلامي
٢	أهمية الفكر الإسلامي
٣	مناهج التفكير في الفكر الإسلامي
٤	أنواع مناهج التفكير في الفكر الإسلامي
٥	مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي
٦	الأصول العقدية في الفكر الإسلامي
٧	خصائص الفكر الإسلامي
٨	ضوابط الفكر الإسلامي
٩	التجديد في الفكر الإسلامي